## 16- بَابُ الشَّفَاعةِ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ئو ئۇ﴾[الأنعام: 51 ].

وَقَوْلِهِ: ﴿جَمِيعًا لَّهُ ٱلشَّفَٰعَةُ لِلَّهِ قُل﴾ [الزمر: 44].

وَقَوْلِهِ: ﴿بِإِذْنِهِۦ إِلَّا عِندَهُۥ يَشْفَعُ ٱلَّذِى ذَا مَن﴾ [البقرة: 255].

وَقَوْلِهِ: ﴿أَن بَعْدِ مِنۢ إِلَّا شَيْـًٔا شَفَٰعَتُهُمْ تُغْنِى لَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ فِى مَّلَكٍ مِّن ۞وَكَم ﴿٢٦﴾ وَيَرْضَىٰٓ يَشَآءُ لِمَن ٱللَّهُ يَأْذَنَ﴾ [النجم: 26].

وَقَوْلِهِ: ﴿ذَرَّةٍ مِثْقَالَ يَمْلِكُونَ لَا ٱللَّهِ دُونِ مِّن زَعَمْتُم ٱلَّذِينَ ٱدْعُواْ قُلِ ﴿٢٢﴾ ظَهِيرٍ مِّن مِنْهُم لَهُۥ وَمَا شِرْكٍ مِن فِيهِمَا لَهُمْ وَمَا ٱلْأَرْضِ فِى وَلَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ فِى لَهُۥٓ أَذِنَ لِمَنْ إِلَّا عِندَهُۥ ٱلشَّفَٰعَةُ تَنفَعُ وَلَا﴾ [سبأ: 22، 23].

قالَ أبُو العَبَّاسِ: نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاه كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُوَن لِغَيْرِه مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ منه، أَوْ يكونَ عَوْناً للهِ، ولم يَبْقَ إلاَّ الشفاعةُ، فبيَّنَ أنها لا تَنْفَعُ إلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ: ﴿ٱرْتَضَىٰ لِمَنِ إِلَّا يَشْفَعُونَ وَلَا﴾ [الأنبياء: 28].

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتي يَظُنُّها المُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا القُرآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسجُدُ لِربِّهِ ويَحْمَدُهُ لاَ يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أوَّلاً. ثُمَّ يُقالُ له: ارْفَعْ رَأسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ[1]. وقَالَ له أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: مَنْ أَسْعَدُ الناسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ إله إلاَّ اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ»[2].

فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لأَهْلِ الإِخْلاَصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلاَ تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ. وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلاَصِ فَيَغْفِرُ لهم بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أُذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ، لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتي نَفَاها القُرآنُ مَا كَانَ فيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بإِذْنِهِ في مَوَاضِعَ. وَقَدْ بَيَّنَ النبيُّ ﷺ أَنَّهَا لاَ تَكُونُ إلاَّ لأَهلِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلاصِ. انتهى كلامُهُ.

---

[1] () أخرجه البخاري (رقم 4476) ومسلم (رقم 193).
[2] () أخرجه البخاري (رقم 99).

**الوقفة الأولي:**

شرح مفردات الباب:

(الشفاعة لغة): اسم مِن شفع يشفع، إذا جعل الشيء اثنين، وهو ضد الوتر.

اصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .

(وأنذر به) : الإنذار هو الإعلام المتضمن للتخويف.

(مثقال ذرة): الذرة واحدة الذر، وهي صغار النمل، يضرب بها المثل في الصغر والقلة.

**الوقفة الثانية:**

ذكر المصنف –رحمه الله- هذا الباب للرد على المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين ويدعونهم ويزعمون أنهم يشفعون لهم عند الله، فبين المصنف أن هذه العبادة وهذا الزعم غير صحيح وأن هذا الدعاء وهذه الشفاعة لا تنفع عند الله. بل الذي ينفع هو عبادته وحده دون سواه أما الشفاعة الحقة الصحيحة هي ما يأذن بها الله سبحانه وتعالى.

**الوقفة الثالثة**:

**تقسم الشفاعة إلى قسمين :**

1- **الشفاعة المثبتة**: وهي التي تطلب من الله –جل وعلا- فيما لا يقدر عليه إلا الله، **ولها شرطان :**

أ - إذن الله للشافع أن يشفع .

ب - رضاه عن المشفوع لـه .

**مثالها**: شفاعة النبي ✕ العظمي في أهل الموقف والقصة مذكورة في الباب.

وهناك نوع من الشفاعة المثبتة تطلب من المخلوق فيما قدر عليه .

مثالها: طالب يريد دخول الجامعة ولم يقبل وهو مستحق لها فيذهب إلى مسئول في الجامعة ليشفع لـه للقبول فيها .

2- **الشفاعة المنفية**: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

**مثالها**: أن يطلب إنسان من صاحب قبر أو ضريح فيطلب منه أن يشفيه من مرضه أو يرزقه الولد .

فهذه شفاعة لا تجوز بل هي من الشرك بالله عز وجل . لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى .

**الوقفة الرابعة:**

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[الأنعام: 51 ]..

يخاطب الله جل وعلا رسوله ﷺ بأن ينذر بالقرآن: ﴿ٱلَّذِينَ بِهِ وَأَنذِرْ﴾ ﴿يُحْشَرُوٓاْ أَن يَخَافُونَ﴾، يعني يوم الحشر وهو يوم البعث: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ ، من دون الله (﴿وَلِيٌّ﴾) الولي الناصر (﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾) الشفيع هذا الذي سيتوسط لهم، فلا يحل لهم إلا خوفهم من الله وعملهم بالقرآن، فالشفاعة لا تنفع إلا من عند الله .

**والآيات التي ذكرها المصنف –رحمه الله- دلت على ثلاثة أمور:**

**الأمر الأول**: أن الشفاعة ملك لله –عز وجل- ﴿ ﴾ .

**الأمر الثاني**: أن الشفاعة لا تنفع إلا بإذن الله ﴿ ﴾.

**الأمر الثالث**: لا تنفع الشفاعة إلا لمن رضي الله عنه﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾ .

**الوقفة الخامسة:**

**أنوع الشفاعة:**

1- **الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ وهي أنواع .**

1. الشفاعة العظمى في أهل الموقف وهي المقام المحمود الذي وعده الله به وتفصيل هذه الشفاعة مذكورة في الباب .
2. شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها .
3. شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب .

2- **الشفاعة العامة لـه ﷺ ولجميع المؤمنين وهي أنواع:**

1. الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها .
2. الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها وهم العصاة من المسلمين الذين لم يستحقوا الخلود فيها .
3. الشفاعة في رفع درجات المؤمنين [3] .

**الوقفة السادسة:**

تلخيص لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- :

ذكر –رحمه الله- أولاً الشفاعة المنفية وهي طلب الشفاعة مما يتعلق به المشركون.

---

[3] () **ينظر: القول المفيد (1/333) .**

ثم ذكر الشفاعة العظمى لنبينا ✕ وأنها من نصيب أهل الإخلاص وهم أهل التوحيد ولا تكون لأهل الشرك .

ثم بين حقيقة الشفاعة بأنها إكرام للشافع ونفع للمشفوع لـه .

**الوقفة السابعة :**

**مع حديث الشفاعة: أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده..." الحديث .**

سميت شفاعته الشفاعة العظمى والكبرى لأنه يشفع في أهل الموقف، نعم ذلك الموقف العصيب عندما يبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً الرجال مع النساء كل يقول: نفسي نفسي في وقت تدنو الشمس من الخلائق حتى إن بعضهم يلجمه العرق إلجاماً ، وبعضهم يصل العرق إلى ركبتيه وبعضهم إلى كعبيه .

والناس في المحشر يريدون الخلاص من هذا الموقف العظيم الذي ينتقلون بعده إما إلى الجنة وإما إلى النار، فيبحثون عن من يشفع لهم فيذهبون إلى الأنبياء فيعتذرون حتى يصلوا إلى نبينا ✕ فيطلبونها منه فيقول: أنا لها أنا لها، فيذهب ويسجد لربه ويحمده فيفتح لـه من المحامد مما لم يكن معروفاً ثم يقال لـه: "اأرفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع".

ثم أخبر ✕ أن أسعد الناس بشفاعته من قال: لا إله إلا الله ليس هكذا مجردة باللسان، وإنما يقولها خالصة من قلبه ويعمل بمقتضاها غير ناقض لها بأي من النواقض .

**الوقفة الثامنة:**

مما ابتلي به الناس أنهم يطلبون وسائط ويطلبون شفعاء عند الله، وقد يكون هذا المطلوب من الجمادات أحياناً أو من أناس ميتين هم بحاجة إلى من يُهدي لهم عملاً صالحاً بحاجة إلى من يرأف بهم، فكيف تطلب منهم الشفاعة ؟!

ولا شك أن مثل هؤلاء على خطر عظيم وعلى خلل كبير، فكيف يطلب الشفاعة ممن ليس لهم شفاعة عند الله، وقد بين الله في كتابه أنه لا يشفع عنده إلا بإذنه، وأن هؤلاء الشفعاء الذين أذن لهم لا يشفعون إلا لمن ارتضاه سبحانه.

## 17- بابُ قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ گ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﴾ [القصص: 56].

وفي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ الله ✕ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ. فَقَالَ له: «يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ». فَقَالاَ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ✕ ، فَأَعَادَا. فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ. فَقَالَ النَّبيُّ ✕ : «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﴾ [التوبة:113]. وَأَنْزَلَ اللهُ في أبي طالبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﮘ ﮙ ﮚ ﴾(4) [القصص: 56].

---

(4) أخرجه البخاري (رقم 1360) ومسلم (رقم 24).

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(إنك لا تهدي): الخطاب للنبي ﷺ ، والمقصود بالهداية هنا هداية التوفيق للإسلام.

(من أحببت): هدايته.

(لما حضرت أبا طالب الوفاة): أي علاماتها ومقدماتها .

(أحاجُّ): من الحاجة وهي بيان الحجة أي أشهد لك بها عند الله .

(ملة عبدالمطلب): أي دين عبدالمطلب وهو الشرك وعبادة الأصنام .

**الوقفة الثانية:**

ذكر المصنف –رحمه الله- هذا الباب ليبين أن أفضل الخلق وهم الرسل وأفضلهم محمد ﷺ لا يملكون شيئاً من أمر الله إلا ما منحهم إياه. فهذا يدل على أن الأنبياء لا يملكون النفع والضر، وفيه رد على الذين يعتقدون في الصالحين النفع والضر، فإذا كان أفضل الرسل محمد ﷺ لا يملك ضراً ولا نفعاً فغيره من باب أولى .

**الوقفة الثالثة:**

**الهداية نوعان:**

**الأولى**: هداية التوفيق والإلهام والقبول بأن ينتقل الإنسان من الكفر إلى الإسلام ومن الضلال إلى الهداية، فهذه ليست للبشر وإنما لله سبحانه وتعالى، وهي التي نفاها عن نبيه ﷺ في قوله: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾.

فالله سبحانه هو القادر على هداية الإنسان للطريق المستقيم ويخرجه من الظلمة إلى النور، فهذه خاصة بالله سبحانه وتعالى ولا يستطيعها أحد

من الخلق؛ لذلك قال سبحانه : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

**الثانية**: هداية الدلالة والبيان والإرشاد بمعنى توضيح طريق الهداية للناس وما هم عليه من الخطأ وما ينبغي أن يعملوه من الصواب فتبين الصراط المستقيم وتبين دين الله جل وعلا، فهذه جائزة في حق المخلوقين، فعليهم أن يبينوا ويرشدوا ويدلوا على الصراط والطريق المستقيم.

فهذه الهداية تكون في حق البشر وعلى رأسهم محمد ﷺ ، فهو الذي عناه الله سبحانه بقوله: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭽ[5] .

فالعالم والداعية والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والناصح والمرشد والمعلم كل هؤلاء يهدون الناس: يعني يبينون لهم طريق الهداية وطريق الاستقامة فهذا حق يجب أن يقوموا به، أما هداية التوفيق والقبول فهي لله سبحانه وتعالى وعليه فعلى المسلم أن يسلك ما كان لـه، فيدل الناس ويرشدهم إلى الطريق المستقيم ويوضح لهم الخير، ويحذرهم من الشرك، يبين لهم ما كان واجباً عليهم، وما كان مستحباً لهم أن يعملوه، ويحذرهم مما كان محرماً عليهم ومما ينبغي أن يجتنبوه، فهذه مهمة النبي ﷺ ومن بعده من العلماء والدعاة.

**الوقفة الرابعة:**

يجب أن نعلم أن أعظم الكلمات في هذه الدنيا هي شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" فينفي الإنسان جميع المعبودات ويقر ويثبت العبادة لله سبحانه وتعالى، فلا معبود بحق إلا الله، فيجب على الإنسان أن يحيى على لا إله إلا الله ويموت على لا إله إلا الله؛ لذلك كان عليه الصلاة والسلام حريصاً أشد الحرص على أن يقول عمه أبو طالب هذه الكلمة فيقول لـه: (**يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها عند الله**) فمن مات عليها دخل الجنة .

فمن لم يقل: لا إله إلا الله وعاش بدونها لا تنفعه الأعمال الصالحة في ظاهرها، فهذا أبو طالب عمل أعمالاً عظيمة مع رسول الله ﷺ لكنها منطلقه من منطلق الحمية لابن أخيه فقط فلم تنفعه أعماله حينئذ، فلو كان الإنسان سخياً كريماً مقداماً دافع عن حياض الإسلام، وعن المسلمين حسن المعاشرة طيب المعاملة ولم يكن ذلك منطلقاً من (لا إله إلا الله) لن تنفعه كل هذه الأعمال، ولو أنها نفعت أحداً بغير (لا إله إلا الله) لنفعت أبا طالب، فقد بين النبي ﷺ أنه أهون أهل النار عذاباً يطأ جمرة في أخمص قدميه يغلي منهما دماغه، نسأل الله السلامة والعافية .

**الوقفة الخامسة:**

يخطئ كثير من الناس في مسألة الهداية؛ فنجد الأب يترك لأولاده

---

[5] () **سورة الشورى ، الآية (52) .**

الحبل على الغارب، بل يأتي لهم بعوامل ويهيئ لهم أسباباً تكون صارفة لهم عن الجادة والطريق المستقيم وإذا قيل لـه: ابنك يعمل كذا وكذا! يقول حينئذ: إن الهداية بيد الله سبحانه، فهذا قد أخطأ وجانب الصواب في فعله، فلا شك أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى ولكن على الإنسان أن يبذل الأسباب المعينة على الهداية فيبذل ما عليه، وهذه هي الدلالة والإرشاد والبيان كما بيّنا في وقفة سابقة، فيهيّئ لهم وسائل الخير ويحذرهم من وسائل الشر وهكذا، ولا يلجأ إلى حيلة العاجز فيقول: الهداية من الله ولم يبذل الأسباب والوسائل المعنية لذلك، فهذا أخطأ الطريق وجانب الصواب .

## 18- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَني آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهم هُوَ الْغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ

وقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ژ ﮋ ب ب ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ [النساء: 171].

في الصحيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:

23]. قال: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ من قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانوا يَجْلِسُونَ فيها أَنْصَاباً، وَسَمُّوها بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، ولَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ[6].

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ[7].

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قال: «لا تُطْرُوني كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ. إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[8] أَخْرَجاهُ.

قَالَ رَسُولُ الله ✕ : «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ»[9].

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ✕ قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعونَ». قَالَهَا ثَلاثاً[10].

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(الغلو): مجاوزة الحد ، والإفراط في التعظيم لشخص أو مسألة، سواء بالقول أو الاعتقاد .

(لا تذرن): أي لا تتركوا عبادة آلهتكم .

(وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا): كما فسرها ابن عباس أنها أسماء رجال صالحين من قوم نوح.

(الأنصاب) : جمع نُصُب ، وكل ما ينصب من حجر أو نحوه مما يعظم.

(لا تطروني): من الاطراء وهو المبالغة في المدح والمراد هنا: أي تبالغوا في مدحي والثناء عليّ ، فتضعوني في منزلة غير المنزلة التي

---

**[6] () أخرجه البخاري (رقم 4920).**

**[7] () انظر: إغاثة اللهفان (1/184).**

**[8] () أخرجه البخاري (رقم 3445).**

**[9] () أخرجه الإمام أحمد (1/215, 347) والحاكم (1/466) والبيهقي في سننه الكبرى (5/127) وابن ماجه (رقم 3029) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (1/293): وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 2680).**

**[10] () أخرجه مسلم (رقم 2670).**

أنزلني الله إياها .

(المتنطعون) : التنطع هو التعمق والتكلف والتشدق ومجاوزة الحد في القول أو الفعل.

**الوقفة الثانية:**

قرر المصنف في الأبواب السابقة جملة من أبواب التوحيد وبيان فضله وآثاره ووجوب الالتزام به ، ثم بيّن بعض القوادح في التوحيد ، وهنا في هذا الباب يبين رحمه الله أن من أهم الأسباب التي جعلت بعض الناس ينحرفون عن التوحيد هو الغلو في الصالحين وذلك بإنزالهم فوق منازلهم ، بحيث يعطون منزلة تضاهي منزلة الرب عز وجل، فأشركوا مع الله غيره.

فلو مات رجل صالح ثم غلا فيه بعض الناس فأخذوا يتوسلون به ، يقولون: يا فلان اشفع لنا، يا فلان اشف مريضنا، يا فلان ارزقنا ولداً أو مالاً، فما الفرق هنا بين هذا الكلام وبين من يعبد غير الله عز وجل؟!

لقد غاب عن هذا الذي توسل وغلا في هؤلاء أنهم أموات لا ينفعون أنفسهم فكيف ينفعون غيرهم.؟

**الوقفة الثالثة:**

إن الغلو في الأشخاص لـه عواقب وخيمة، فكثيراً ما يعمي عن أخذ الحق والهدى فلا يقبل هذا الغالي أيَّ حق جاء به الشرع إن كان يخالف من غلا فيه، ولذلك تجد بعض الناس لا يستمع إلا لأشخاص معينين غلا فيهم، ولا يستمع إلى غيرهم بناء على غلوه بأولئك ، وهذا يصد عن الحق، ويوقع في التعصب المذموم، وربما الانحراف عن جادة الصواب، وشاهد هذا كفار قريش بغلوهم في آلهتهم وتعصبهم لما عليه الآباء والأجداد، فلم يسلم كثير منهم مع اقتناعهم بقوة وصحة ما جاء به النبي ✕ .

**الوقفة الرابعة:**

الآية الأولى التي أوردها المصنف خطاب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ينبههم عن مجاوزة ما جاء في دينهم، وذلك بأن يغلو في مسألة من المسائل أو شخص من الأشخاص فيفعلوا أكثر مما شرع لـهم في الدين ولذلك عقب سبحانه هذا النهي بقوله : ﴿ **وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقّ** ﴾ [11] فدل على أن الغلو في الدين هو قول على الله بغير حق، وقد وصل الغلو بالنصارى أن جعلوا عيسى عليه السلام ابناً لله فقالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، فكذبهم الله سبحانه بقوله: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ** ﴾[12] إن الغلو في مسائل الدين أمر مذموم، ولذا نجد بعضهم يحمل نفسه أمراً

---

[11] () **سورة النساء ، الآية (171).**

[12] () **سورة المائدة ، الآية (73).**

غير مشروع فيقع في المحذور ، ومن ذلك ما جاء قصة الثلاثة الذي قال أحدهم: أنا لا أتزوج النساء، وقال الآخر : أنا لا آكل اللحم، وقال الآخر : أنا أقوم الليل ولا أنام، وهم فعلوا هذا لأجل الزيادة في العمل والتفرغ لـه فنهاهم النبي ﷺ عن هذا الصنيع الخارج عن أسس الدين فقال: (**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**) [13] .

من هذا الحديث نأخذ أن العبادات إذا غلا فيها الإنسان وتجاوز الحد فقد وقع في الذم ، ولذا فالواجب على المسلم الالتزام بالهدي النبوي، وعدم الغلو لأن الغلو سبب للهلاك كما جاء في الحديث الذي ذكره المصنف في هذا الباب ، وكونه سبباً للهلاك لأنه خروج عن طاعة الله عز وجل، فإذا أمر الشارع بأمر معين فخذ به ولا تزدْ عليه شيئاً فإن زدت عليه فكأنك تتهم الله تبارك وتعالى أو رسوله ﷺ بأنهم لم يبلغوك بالواجب أو ما هو في مصلحتك .

وما ذكر هنا من النهي عن الغلو لا يعني أن نفرط أو نتكاسل عن الفرائض والمستحبات ، أو نتساهل عن أداء العبادات على الوجه الكامل، ونقول: إن الإسلام نهى عن الغلو ، نعم الإسلام نهى عن الغلو وكذا نهى عن الجفاء والضعف ، فلهذا منهج الإسلام هو الوسط والاعتدال، والسماحة واليسر، وذلك مع أنفسنا وأهلينا وعامة الناس حتى في عباداتنا ومعاملاتنا ، ولذا جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: (**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا**) [14] .

ولا ريب أن للنفس إقبالاً على العمل الصالح وإدباراً وفتوراً عنه، ولذلك أمرنا حال الإقبال أن نربيها على ذلك ونزيد من الطاعات وفق المشروع، فمن كان يصلي الليل ثلاث ركعات فليصلِ خمساً أو سبعاً أو تسعاً أو إحدى عشرة ركعة لكن لا يقوم الليل كله .

وفي حال فتور النفس عن العمل الصالح يعالج نفسه حتى لا ينقطع عن العبادة وعمل الخير ، ولذا جاء عن بعض الصحابة أنه كان يقول لأخيه: اجلس بنا نؤمن ساعة، أي نربي أنفسنا على الإقبال على طاعة الله وتقوية الإيمان .

**الوقفة الخامسة:**

تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً**﴾ تفسير جلي ، فابن عباس رضي الله

---

[13] () رواه مسلم في كتاب: النكاح ، باب : استحباب النكاح ، برقم (1401).

[14] () رواه البخاري في كتاب : الإيمان، باب : إن الدين يسر ، برقم (39).

عنهما دعا لـه النبي ﷺ بقوله: **(اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل)** [15] أي تفسير القرآن ، ويذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن الشيطان وسوس لقوم من نوح أن صنعوا تماثيل على مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها، وسموها بأسمائهم ليتذكروهم ويقتدوا بهم، ففعل هؤلاء الجهلة هذه الفعلة ولكن لم يعبدوهم، حتى مات هذا الجيل وجاء من بعدهم بعد أن انتشر الجهل وقل العلم فعبدوا هذه التماثيل من دون الله عز وجل، وقالوا: إن هذه التماثيل التي نصبها سلفنا لم توضع إلا للعبادة فوقعوا في الشرك الأكبر.

وبهذا يتضح جلياً أن أساس الكفر هنا هو الغلو في الصالحين ، والشيطان لا يأتي للمسلم مباشرة فيقول لـه: اعبد فلاناً ولكن يبدأ شيئاً فشيئاً حتى يوقع بني آدم في الشرك.

وللأسف أنه يوجد بعض مظاهر الغلو في الصالحين في بعض البلاد الإسلامية كما هو في الزمان الأول، مثل ما يعرفه البعض من الذهاب للولي الفلاني، وقد يكون هذا حقاً وليّاً من أولياء الله، وقد يكون وهماً كما هو واضح في بعض من تنسب لهم الولاية ، ولنفترض أنهم أولياء بحق لكننا نجد من المسلمين من يأتي على قبورهم طالبين العون والمدد والرزق والثناء والولد من هؤلاء، وهذا بلا شك غلو في الصالحين، ومن صرف شيئاً من العبادة لهم فقد أشرك شركاً أكبر مخرجاً من الإسلام ، والغالب على هؤلاء هو الجهل، ولكن يوجد من لـه هوى وتعصب لهذه الأمور إما بسبب الآباء والأجداد وما كانوا يفعلونه فيكابرون في أخذ الحق، والبعض الآخر لـه مقاصد مادية في هذه الأمور المحرمة فقد يجني من هذه المزارات الأموال ، وقد يحصل على الجاه والمنصب من خلال هذه الأعمال.

إن على أهل العلم مسؤولية عظيمة في إرشاد هؤلاء وتوضيح الأمور لهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يذكروهم أن الله هو المتصرف في الأمور، والمجيب لدعوة الداعي، وهو سبحانه من يغير الأحوال بحكمته وقدرته ، وبذلك يتعلق الناس بربهم عز وجل فتصحَّح عقائدهم.

ثم إن على ولاة أمر المسلمين في مختلف البلدان مسئولية كبيرة في اجتثاث مثل هذه النصب والشركيات حتى لا تضلل العامة، نسأل الله لهم التوفيق لكل ما فيه خير.

وثمة أمر ينبغي الإشارة لـه في هذا المقام وهو أن بعض الناس يضع تمثالاً لابنه وبنته أو لأبيه في المجالس بصور مكبرة وبخاصة إذا كانوا

---

**[15] () رواه أحمد في مسند ابن عباس، برقم (2397)، وصححه الألباني في السلسلة ، برقم (2589).**

أمواتاً وهذا طريق قد يوصل إلى الغلو فيهم وتعظيمهم ورفعهم عن منزلتهم ، فالواجب التنبه لهذا الأمر ومناصحة من يقوم به.

**الوقفة السادسة:**

في حديث عمر ﷺ نهى النبي ﷺ الناس أن ينزلوه فوق منزلته ويمدحوه بما ليس فيه مما يكون لله عز وجل مدحاً أكثر مما يستحقه، كما فعلت النصارى بجعلهم نبيهم عيسى عليه السلام ثالث ثلاثة في العبودية بعد أن قالوا: إنه ابن الله، تعالى الله عما يقول الظالمون.

ولذلك جاءت الأساليب العديدة منه ﷺ من التحذير من فعل هؤلاء مع أنبيائهم وصالحيهم، تارة بالنهي المجرد، وتارة بلعنهم على فعلهم كما سيأتي في الباب القادم.

ولكن هل يقدح هذا النهي في محبة الرسول ﷺ ؟ والجواب : أن هذا لا يقدح في محبته ﷺ ، حيث إن محبته ﷺ جزء من العقيدة التي يجب أن تصان عما يخدشها ، ولهذا أعلى المحبة هي محبة الله عز وجل ثم محبة النبي ﷺ، وذلك بطاعته فيما أمرنا به وترك ما نهانا عنه، والتقيد بأفعاله وأقواله ﷺ ؛ كما قال تبارك وتعالى حكاية عنه ﷺ : ﷺ**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﷺ[16] .

فإذا كان اتباع أوامر الرسول ﷺ يوصل لمحبة الله عز وجل فكذلك يوصل لمحبته ﷺ، ولكن كيف بالمسلم وهو يسمع نهيه ﷺ عن الغلو فيه وفي الصالحين، ويتجاهل ذلك ويترك أمره ﷺ وهو يدعي محبته، فالمحب لمن يحب مطيع. إن محبته ﷺ لا تكون حديثاً عابراً أو احتفالاً سنوياً بل بالالتزام بما أمر به وبتعظيم سنته والذب عنها .

إن بعض الناس يدعي محبة الرسول ﷺ وهو منكب على المعاصي والمهالك ، تاركاً العمل الصالح، فهذه دعوى مجردة باللسان يخالفها واقعه، نسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية.

إن النهي في الغلو في الصالحين لا يقدح أيضاً في محبتهم ، فالصالحون لهم حق في إنزالهم منازلهم وإكرامهم ومحبتهم، ولكن لا يعني هذا الغلو فيهم برفعهم عن درجتهم التي تنبغي لهم .

**الوقفة السابعة :**

يفيد حديث ابن مسعود ﷺ أن التعمق في الأشياء فيما لا فائدة فيه تنطّع وتكلّف بالأقوال والأفعال وإلباس النفس ما ليس فيها، وهو أمر مذموم حتى في أمور العادات والأحوال الشخصية.

---

[16]() **سورة آل عمران، الآية (31).**

**وللتنطع صور كثيرة منها:**

- أن يتكلف الشخص في مشيته .
- أن يتشدق بالكلام ويتكلف الفصاحة وغريب الألفاظ.
- أن يتكلف في ثوبه ومظهره بما يكون خارجاً عن عادة الناس في اللباس والزينة.
- وكذلك يقوم بعمل ما هو خارج عن أعراف الناس وعاداتهم.
- وأوضح أنواع التنطع هو ما يكون في العبادات وهو المقصود هنا، وذلك بأن يزيد من العبادة ما ليس منها، أو يشدد على نفسه في أمر فيه سعة كمن يصوم نفلاً في السفر وعليه المشقة الشديدة في ذلك، أو من يعلق حبلاً ليمسك به ليقوم عليه في صلاة الليل... فهذه أمور من التنطع التي جاء الشرع بالنهي عنها.

## 19- بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فكيف إِذَا عَبدَهُ ؟!

في الصَّحيحِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذكَرتْ لِرَسُولِ اللهِ ✕ كَنِيسَةً رَأَتْهَا

بِأَرضِ الحبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فِيه تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»[17]. فَهَؤلاَءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفتنتين: فِتْنَةِ الْقُبُورِ وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ: لَمَا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ✕ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ:«لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَسَاجِدَ»[18] يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَن يُتَّخَذَ مَسْجِداً. أخرَجَاهُ.

ولِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ✕ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ:«إِنِّي أَبْرَأُ إِلى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَما اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبا بكْرٍ خَلِيلاً. ألاَ وإِنَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا فَلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهاكُمْ عَنْ ذلِكَ»[19]. فَقَدْ نَهَى عَنْهُ في آخِرِ حَيَاتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ ـ وَهُوَ فِي السِّياقِ ـ مَنْ فَعَلَهُ. والصَّلاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذلِكَ وإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا: خُشِي أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً. فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِداً. وكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلاةُ فيه فَقَدِ اتُّخِذَ مسجدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فيهِ يُسَمَّى مَسْجِداً، كَمَا قَالَ ✕: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُورًا»[20].

وَلأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ مرفوعاً: «إِنَّ من شِرارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»[21]، وَرواه أَبُو حَاتِمٍ في صَحِيحِه .

---

**[17] أخرجه البخاري (رقم 434) ومسلم (رقم 528).**

**[18] أخرجه البخاري (رقم 435) ومسلم (رقم 531).**

**[19] أخرجه مسلم (رقم 532).**

**[20] أخرجه البخاري (رقم 335) ومسلم (رقم 521).**

**[21] أخرجه الإمام أحمد (1/435) وابن حبان كما في الموارد (رقم 340) والطبراني في الكبير (10/232 رقم 10413) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (2/30): رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (2/674): وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد. وذكر الحديث.**
**وأخرج البخاري الجزء الأول منه معلقا (رقم 7067) وعند مسلم مرفوعاً: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» (رقم 2949).**

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(الكنيسة) : مكان عبادة النصارى .

(الرجل الصالح أو العبد الصالح): هذا شك من راوي الحديث، وهذا يبين دقة نقل الرواة .

(طفق): أي جعل.

(خميصة): الكساء الذي لـه أعلام .

(اغتم): أي احتبس نَفَسُه ✕ عن الخروج.

(أبرأ) : أمتنع وأنكر.

(الخليل): هو المحبوب غاية المحبة ، والخلة: أعلى درجات المحبة.

**الوقفة الثانية:**

أورد المصنف هذا الباب ليبين أن من عبد الله مخلصاً لـه عند أحد القبور بأن صلى لله أو دعا الله أو ذبح لله عند قبر فإنه آثم إثماً كبيراً، فكيف بمن صرف شيئاً من العبادة لهذا القبر بأن دعا صاحب القبر أو ذبح لـه من دون الله فهو أشد وأقبح من الأول، إذ إن من صرف عبادةً لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر مخرجاً من الإسلام، أما من عبد الله وحده عند قبر فلا يخرجه من الإسلام ولكنه آثم وفعله محرم وكبيرة من كبائر الذنوب لأنه

وسيلة إلى الشرك والعياذ بالله.

ومن هنا يتبين لنا علاقة هذا الباب بسابقه، فالمصنف لما ذكر ما ينتج عنه الغلو في الصالحين وما يؤدي إليه من شرك بالله عز وجل، ناسب أن يبين هنا أن عبادة الأولياء والصالحين شرك أكبر تنافي التوحيد وإفراد الله بالعبادة، فالعبادة لله عند القبور وسيلة إلى الشرك ومن هنا جاءت العلاقة بين هذا الباب وكتاب التوحيد.

**الوقفة الثالثة:**

الحديث الأول الذي أورده المصنف يفيد أن بناء المساجد على القبور أمر لا يجوز ؛ لأن النبي ✕ وصف هؤلاء بأنهم شرار الخلق ، ولأنها من الوسائل المؤدية إلى الشرك بالله عز وجل ؛ وذلك بعبادة صاحب القبر، وتتأتى هذه الأمور شيئاً فشيئاً، فقد يتعلق هذا الشخص بصاحب القبر حتى يعظمه تعظيماً يخرجه من الملة ، وقد يأتي بعض الجهال من الناس فيرى من يعبد الله عند القبر فيظن أنه يعبد القبر ذاته فيفعل مثله، وبذلك تنتشر عبادة القبور. فهؤلاء ظلموا أنفسهم وضلوا وأضلوا غيرهم، وسنوا لمن بعدهم السنن السيئة من الغلو في قبور الصالحين، والنبي ✕ يقول: **(من سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً)** [22] وقد افتتن كثير من الناس في بعض البلدان الإسلامية بتعظيم القبور والمزارات حتى وصل بهم الحال إلى التوسل بها ، والطواف حولها ، والذبح لها نسأل الله السلامة والعافية .

وإن المسلم ليعجب من فعل هؤلاء ، كيف يتركون التوسل بالله عز وجل وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى وينصرفون إلى التوسل بالقبور والأضرحة ، والله تعالى أخبر أنه قريب من عباده فقال تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [23] والنبي ✕ يقول: **(إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله)** [24] .

فالله سبحانه يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تُكِنُّ الصدور والضمائر، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فلماذا اللجوء إلى الأموات والقبور؟ ولماذا اللجوء إلى الجمادات وإلى ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئاً؟

---

**[22] رواه مسلم في كتاب العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم (1017) .**

**[23] سورة البقرة، الآية (186).**

**[24] رواه الترمذي في كتاب : صفة القيامة والرقائق والورع، برقم (2516)، ورواه أحمد في مسند ابن عباس ، برقم (2763)، وصححه الألباني في الجامع الصغير، برقم (13917).**

ولهذا يجب على المسؤولين في البلاد الإسلامية أن يمنعوا هذه المظاهر الشركية ، وألا يسمحوا ببناء المساجد على القبور لدفع هذا الشر العظيم . كما يجب على العلماء والدعاة التحذير من هذه المسائل الشركية التي توقع الناس في المهالك .

**الوقفة الرابعة:**

**اعلم رعاك الله أن زيارة القبور على قسمين:**

**القسم الأول**: الممدوح والمشروع وهو أن يزور المسلم هذا القبر، كي يسلم على الميت ويدعو لـه بما ينفعه من دخول الجنة والنجاة من عذاب النار والقبر ، وبهذه الزيارة أيضاً يتذكر الزائر الآخرة، إذ يتصور أن أصحابها في شغل شاغل، فمنهم السعيد ومنهم الشقي، ويتذكر أنه في يوم من الأيام سيكون كحالهم ، فيعتبر بذلك ويعمل من الصالحات ما يقربه إلى الله، ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: (**إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة**) [25] .

وهذه الزيارة ليس فيها منفعة وإعانة من الميت للحي، بل فيها منفعة الحي للميت بالدعاء لـه والترحم عليه، ولذا جاء في الحديث الصحيح قول النبي ﷺ : (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو لـه**)[26] .

ولكن لا يجوز أن يسافر الشخص لزيارة أحد القبور لقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى**) [27] .

**القسم الثاني**: الزيارة الممنوعة والمذمومة ، وهي إذا كانت الزيارة لعبادة صاحب القبر أو الذبح لـه فهذه شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام؛ لأنه صرف عبادة لغير الله والله سبحانه يقول:﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾[28] ويقول في الآية الأخرى :﴿ **وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ* وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا**

---

[25] () **رواه أحمد في مسند بريدة الأسلمي، برقم (23055)، ورواه أبو داود في كتاب : الجنائز ، باب : في زيارة القبور، برقم (3235)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم (2772).**

[26] () **رواه مسلم في كتاب: الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد مماته ، برقم (1631).**

[27] () **رواه البخاري في كتاب : الحج ، باب : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، برقم (1397).**

[28] () **سورة النساء، الآية (48).**

**كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ** [29] .

وكذلك طلب المدد والعون من هؤلاء الأموات شرك أكبر لقوله عز وجل:

**وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** [30] .

وقال أيضاً سبحانه وتعالى: **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** [31] .

أما من يعبد الله عند أحد القبور والأضرحة ويرجو بركتها ويتحرى الدعاء عندها ويطيل المكث رجاء بركة أهلها والتوسل بجاههم أو حقهم فهذه بدعة منكرة، وهي من وسائل الشرك الأكبر فيحرم فعلها [32] .

**الوقفة الخامسة:**

الحديث الثاني الذي أورده المصنف فيه تصريح ببعض أعمال اليهود والنصارى؛ وهو اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، فيبنون على القبور مساجد لصلاة فيها ، ولهذا لعنهم ✕، بمعنى أن هؤلاء استحقوا غضب الله عليهم لفعلهم هذا ، والنبي ✕ يخبر بذلك في آخر حياته والموت ينازعه ليبين عظم الأمر وخطورته ، ويحذر أمته من صنيع مثل هؤلاء حتى لا يصيبهم اللعن.

وقد يشكل على البعض لعن النبي ✕ لليهود والنصارى وقد يكون بعضهم لا يعبد القبور فكيف يعمهم ✕ ذلك؟ والجواب: أن الحكم هنا للأعم والأغلب أو لمن كانت هذه صفته .

**الوقفة السادسة :**

حديث جندب بن عبدالله ﷺ الذي ذكره المصنف يفيد أن النبي ✕ ينكر أن يكون لـه خليل من الناس يحبه أعلى درجات المحبة، إذ إن النبي ✕ خليل الله، كما أن إبراهيم عليه السلام هو أيضاً خليل الله، وفي ذلك إثبات صفة المحبة لله سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته بما لا يشابهه أحد من الخلق وبلا تكييف لهذه الصفة ولا تعطيل لمعناها .

وفي الحديث فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ إنه فاقت محبة

---

[29] () سورة يونس، الآية (106، 107).

[30] () سورة المؤمنون، الآية (117).

[31] () سورة فاطر، الآية (13-14).

[32] () ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (1/435).

الرسول ✕ لـه عن غيره من الصحابة .

وقولـه ✕ في هذا الحديث : (**من أمتي**) المقصود بها أمة الإجابة، وهم من آمن بدعوته واتبع شرعه ، وذلك **أن الأمة تنقسم إلى قسمين**: أمة الإجابة ، وأمة الدعوة وهؤلاء هم سائر الناس منذ بعث النبي ✕ سواء المؤمن منهم أو الكافر.

كما أفاد الحديث تحريم كون القبور مساجد يعبد الله عندها ، وذلك لأمرين: الأمر الأول: قولـه ✕ : (**فلا تتخذوا القبور مساجد**) أي لا تصلوا عند القبور أو تتخذوها مكاناً للعبادة.

الأمر الثاني: قولـه ✕ : (**فإني أنهاكم عن ذلك**) فأكد النهي الأول بهذه العبارة التي تفيد التحريم كما هو معلوم .

ولفظة (مساجد) الواردة في الحديث لا تعني بناية المسجد المتعارف عليها الآن فقط، بل تشمل كل مكان للصلاة حتى وإن كان في البرية ؛ لأن النبي ✕ قال: (**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**) .

أما الصلاة على الميت في المقبرة فجائزة وهي أمر خاص ومستثنى من النهي لحديث أبي هريرة ﷺ في قصة المرأة التي كانت تقمّ المسجد فسأل عنها النبي ✕ فقالوا : ماتت ، فقال: (**أفلا كنتم آذنتموني، دلوني على قبرها**) فدلوه فصلى عليها [33] .

**الوقفة السابعة :**

حديث ابن مسعود الذي أورده المصنف يفيد أن الناس يتفاوتون في الشر كما يتفاوتون في الخير ، فمن الناس من يكون شره عظيماً ومتعدياً إلى غيره، ومنهم من يكون شره خفيفاً ومقتصراً على نفسه .

وقد بين ✕ صنفين من الناس هم من شرار الخلق، **الصنف الأول**: هم من تدركهم الساعة وهم أحياء، أي تقوم عليهم القيامة وهم أحياء، ولذا جاء في الصحيح أن النبي ✕ قال: (**إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته**) [34] فلا يبقى في الأرض من يؤمن بالله، ولهذا جاء في حديث أنس ﷺ مرفوعاً : (**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله**) [35] .

**الصنف الثاني**: وهو محل الشاهد وهم الذين يتخذون القبور مساجد ، وقد سبق الإشارة لحكم هذا الفعل، والواجب على المسلم أن يقتدي بسنة النبي ✕، فما من خير إلا دلّ الأمة عليه ، ومن أحدث بدعة فهي مردودة

---

[33] () رواه البخاري في كتاب: التيمم ، برقم (328) .

[34] () رواه مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الريح التي تكون قرب القيامة، برقم (185).

[35] () رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب : ذهاب الإيمان آخر الزمان، برقم (234) .

عليه، نسأل الله سبحانه الهداية للجميع .

**الوقفة الثامنة:**

إذا وجد قبر في أحد المساجد فهل يهدم المسجد أم يزال القبر؟

والجواب على ذلك أن يقال: إن الأمر لا يخلو من أن يكون بناء المسجد أولاً أو يكون القبر هو السابق لبناية المسجد ، فإن كان المسجد قد بني على قبر أو قبور فيجب هدم هذا المسجد ؛ لأنه أسس على خلاف ما شرع الله، والإبقاء عليه مع الصلاة فيه إصرار على الإثم وزيادة غلو في الدين وذلك يفضي إلى الشرك الأكبر كما أسلفنا .

أما إذا بني المسجد على غير قبر ثم دفن فيه أحد من الناس فلا يهدم هذا المسجد، ولكن ينبش هذا القبر ويخرج من كان مقبوراً فيه ويدفن في مقابر المسلمين إن كان منهم؛ لأن دفنه في المسجد منكر فيزال هذا المنكر بإخراجه من المسجد [36] .

## 20- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ في قُبُورِ الصَّالِحِين يُصَيِّرُهَا أَوْثَاناً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ .

روَى مَالِكٌ في الموطَّأِ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قالَ: «اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْري وَثَناً يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ»[37].

---

[36] () ينظر: فتاوى للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (1/49).

[37] () أخرجه الإمام مالك مرسلاً (1/168 رقم 423) والإمام أحمد مسنداً (2/246) بلفظ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ولابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفيانَ عَنْ مَنصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم:19] قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ[38]. وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ[39]. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ✕ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، والمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ والسُّرُجَ»[40]. رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ.

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

**(الغلو) :** الارتفاع عن الحد المشروع ومجاوزته .

**وثنا**: هو ما عُبد من دون الله ولا صورة لـه كالقبور والأحجار والأشجار والحيطان ونحوها .

**(اللات)**: كان رجلاً صالحاً يطعم الحجاج فلما مات عكفوا على قبره فصار وثناً يعبدونه من دون الله .

**(العزى)**: شجرة بين مكة والطائف كان أهل الجاهلية يعظمونها ويعبدونها.

---

**[38] انظر:تفسير الطبري (رقم 25180).**

**[39] أخرجه البخاري (رقم 4859).**

**[40] أخرجه أبو داود (رقم 3236) والترمذي (رقم 320) والنسائي (4/94 - 95 رقم 2041) وابن ماجه (رقم 1575) والإمام أحمد (1/229) والحاكم (1/374 ) وقال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (1/259- 260): ولعن المتخذين على القبور المساجد متواتر عنه × في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة وابن عباس وأبي هريرة وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح وأسامة بن زيد، قد سقت أحاديثهم وخرجتها في «التعليقات الجياد على زاد المعاد» ثم في «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» وهو مطبوع، ونص حديث عائشة وابن عباس مرفوعاً: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» زاد أحمد في روايته: «يحرم ذلك على أمته» وأخرج أيضاً من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد».**

(يلت لهم السويق): السويق هو دقيق الشعير، واللّت هو الخلط والعجن .

**(السرج)**: جمع سراج وهي أداة يصدر منها نار صغيرة، لتضيء للناس في الظلام.

**الوقفة الثانية:**

أورد المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد ليشير إلى أن الوسائل المحرمة قد تؤدي إلى ما هو أكبر منها وأشد تحريماً، والغلو في قبور الصالحين والرؤساء قد يصيرها في النهاية أوثاناً تعبد من دون الله، فيستغاث بها وتدعى وترجى من قبل بعض المساكين الجهال الذين يتركون التعلق بالله وحده لا شريك لـه فيعبدون غيره.

وأورد الشيخ -رحمه الله- قوله ﷺ: (**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**...) وهذا دعاء منه ﷺ لله سبحانه وتعالى ألا يجعل قبره وثناً يعبد ويطاف به أو يذبح لـه أو يدعى من دون الله، ثم ذكر ﷺ اشتداد غضب الله عز وجل على من اتجه إلى القبور وصرف لها ما لا تستحقه من التعظيم، وسبب هذا أنها قد تكون وسيلة للشرك الأكبر بالله سبحانه، وذلك إذا عبد الله عند هذا القبر أو تمسح به أو طلب بركته ونحو ذلك، وقد تكون شركاً أكبر إذا اتجه الأمر إلى عبادة صاحب القبر نفسه .

والفعل من الشخص قد يكون مباحاً في الأصل أو مستحباً لكن إذا كان يؤدي إلى ما هو محرم يصير هذا الفعل محرماً، والوسائل لها أحكام المقاصد، بشرط ألا تكون الوسيلة محرمة، فإن كانت كذلك وجب ترك هذه الوسيلة وإن كانت الغاية والهدف المنشود أمراً مباحاً أو مندوباً .

وهنا أمر آخر ورد في الحديث وهو دعاؤه ﷺ بألا يجعل قبره وثناً يعبد، فلماذا ذكره؟

والجواب: لضرر هذا الأمر على الأمة بأكملها، وتحذيراً لهم من الغلو في قبره ﷺ ، وقبور الصالحين من بعده من باب الأولى .

**الوقفة الثالثة:**

قوله ﷺ في الحديث: (**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) فيه فائدة إثبات صفة الغضب للرب عز وجل، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته سبحانه إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، وأهل السنة والجماعة يثبتونها كما جاءت في الشرع من غير تكييف لها، فلا نقول: إن غضب الله يكون كذا وكذا، ولا نقول: إن غضبه سبحانه كغضب الآدميين، ولكننا نعلم المعنى وأنه غضب منه سبحانه ويستحق المغضوب عليه العقوبة من الله عز وجل .

وقد سئل الإمام مالك عن صفة الاستواء فذكر أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وهذا الكلام عام في جميع صفات الله عز وجل، ونحن حينما نثبت صفاته سبحانه نثبتها على الوجه الذي يليق به من دون مشابهة لأحد من خلقه على حد قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ [41] .

**الوقفة الرابعة:**

الأثر الذي أورده المصنف عن الإمام مجاهد بن جبر – رحمه الله - تلميذ الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما هو تفسير لقوله تعالى: ﴿ ۝١٩ وَٱلۡعُزَّىٰ ٱللَّٰتَ أَفَرَءَيۡتُمُ ﴾ [42] ، فقد كان هناك رجل صالح يطعم الحجاج نوعاً من الطعام فلما مات عكفوا على قبره حتى عبدوه، فصار وثناً من أوثان المشركين وسمي باللات .

فالملاحظ هنا أنهم غلوا في تعظيم القبور حتى أدّى ذلك إلى عبادتها من دون الله عز وجل فوقعوا في الشرك، ولا إشكال أن يذكر الناس محاسن الموتى ومن كان لـه إصلاح وخدمة لأسرته ومجتمعه وأمته، وأن يدعى لـه بل هذا أمر حسن، ولكن الإشكال هو التجاوز عن الحد المشروع، كأن يُنصب لـه قبر واضح ومن ثم يبرز ويتبرك به ويطاف حوله وهذا أشد وأقبح، وقد يعبدونه من دون الله، نسأل الله السلامة والعافية.

**الوقفة الخامسة:**

لقد لعن رسول الله المتخذين على المقابر المساجد والسُرج، والمراد بذلك أن يجعلوا هذا القبر مصلى ومسجداً يعبد الله فيه، أو يتحرى الصلاة عندها، فهذا يستحق اللعن وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله .

كما أن من يتخذ على المقابر سُرُجاً يستحق اللعن، وسبب هذا اللعن في الأمرين أنها وسيلة لتعظيم القبور ومن ثم عبادتها من دون الله، فلعن رسول الله ✕ من فعل هذه الوسيلة لأجل أن يمتنع الناس من الوقوع فيما هو أشد، وهذه قاعدة كما سبق أن للوسائل أحكام الغايات .

والشريعة الإسلامية جاءت بالوسطية فقد جاء النهي عن تعظيم القبور فيصار لعباداتها، وكما نهي في المقابل عن إهانة المقابر، بل أمرنا أن نحترم القبور وألا نجلس على قبر ولا نمشي عليه، فحرمة المسلم ميتاً كحرمته حياً .

ولا مانع منع تسوير المقبرة وأن يوضع بداخلها شوارع ليسهل الوصول إلى القبور حتى تنظم الأمور ولا تكون فوضى، ولكن يجب ألا

---

[41] () **سورة الشورى الآية: (11)**

[42] () **سورة النجم الآية: (19) .**

يوقع في النهي ويتخذ السراج في المقابر، إذ قد لا يعظم هذا الجيل المقابر ثم يأتي بعدهم جيل يعظمونها إذا شاهدوا الإنارات، ثم يأتي بعدهم جيل يعبد هذه القبور عياذاً بالله، فلذا حسمت مادة هذا الفساد بالنهي عن إنارة المقابر .

**الوقفة السادسة:**

**ما حكم زيارة النساء للمقابر ؟**

**اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:**

**القول الأول**: تحريم زيارة النساء للمقابر، بل إنها كبيرة من كبائر الذنوب. حديث ابن عباس الذي أورده المنصف .

**القول الثاني**: يكره لهن زيارة المقابر، واستدلوا على ذلك بحديث أم عطية أنها قالت: (**نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا**)[43] .

**القول الثالث**: يجوز لهن زيارة المقابر، واستدلوا عليه بحديث النبي ✕ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"[44] . ولما مر ✕ على امرأة تبكي عند قبر قال لها: (**اتقي الله واصبري**)[45] ، ولم ينهها ✕ عن الجلوس عند القبور ولو كان محرماً لنهاها .

والصحيح - والله أعلم - القول الأول، وأنه لا يجوز لهن زيارة المقابر، للحديث الصريح في لعن زوارات القبور، وأما حديث أم عطية رضي الله عنها فهذا فهم منها وليس من صريح كلامه ✕، أما حديث المرأة فهي لم تخرج للزيارة وإنما خرجت لما في قلبها من الحرقة والحزن الشديد على ما أصابها فلم تتحمل، ولذلك أمرها ✕ بالصبر على هذا البلاء.

وأما حديث الأمر بزيارة المقابر فهو خطاب للرجال دون النساء؛ بدليل لعن زوارات القبور.

ويضاف إلى ذلك أن المرأة بطبيعتها ذات عاطفة جياشة، فإذا رأت القبور تصورت حالهم فستتأثر كثيراً، ومن ثم قد يؤدي ذلك لشق الجيوب ولطم الخدود وأمور أخرى لا تحمد عواقبها والله أعلم [46] .

---

**[43] () رواه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: اتباع النساء للجنائز، برقم "1219"، ورواه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: نهي النساء عن اتباع الجنائز، برقم "938" .**

**[44] () رواه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبي ✕ ربه في زيارة قبر أمه، برقم "977" .**

**[45] () رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: قول الرجل للمرأة عند القبر: اصبري، برقم "1194"، ورواه مسلم في كتاب: الجنائز. باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، برقم "926" .**

**[46] () ينظر: مجموع الفتاوى "24/343"، المغني "3/523" .**

## 21- بَابُ مَا جَاءَ فِي حمايةِ الْمُصْطفَى ﷺ جَنابَ التَّوْحِيد وَسَدِّهِ كُلَّ طريقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّركِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ژ [التوبة: 128-129]

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتكُمْ قُبُوراً، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُني حَيْثُ كُنْتُمْ»[47] رواهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسينِ ﷺ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانت عِنْدَ قَبْرِ النَّبيِّ ﷺ فَيدخُلُ فيهَا فَيدْعُو فَنَهاهُ، وَقَالَ: أَلا أُحَدِّثكم حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ أبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «لاَ تَتَّخِذُوا قَبْري عِيداً وَلاَ بيُوتَكُمْ قُبُوراً وصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُني أَيْنَ كُنْتُمْ»[48] رواهُ في الْمُخْتَارَةِ.

**الوقفة الأولى:**

هذا الباب سماه المصنف –رحمه الله- بهذه التسمية قال: باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد ...

---

**[47] () أخرجه أبو داود (رقم 2042) والإمام أحمد (2/367) والطبراني في الأوسط (رقم 8026)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (2/659): وهذا إسناد حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 7226).**

**[48] () أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة (2/49 رقم 428) وقال محققه: في إسناده لين...والحديث لم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع. هكذا قال المحقق حفظه الله. بينما وجدت الحديث عند أبي يعلى في مسنده (1/361- 362 رقم 469).**
**والحديث ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (1/301) (2/660-661) وقال في الموضع الثاني: رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ فيما اختاره من الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين، وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم في صحيحه.**
**وصححه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تحقيق التوسل والوسيلة لابن تيمية (ص123)، وكذا صححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (رقم 3785).**

(الحمى) إذا جعل للشيء مانعاً يبعد من حوله فهو الحدود للشيء.
(المصطفى) من الاصطفاء وهو الاختيار والمقصود به: رسول الله ✕ .
(جناب التوحيد) يعني جانب التوحيد.
وهذا الباب مفاده أن النبي ✕ كان حريصاً تمام الحرص على غرس هذه العقيدة في قلوب المسلمين... ومن مقتضي ذلك أنه يمنع كل وسيلة تؤثر على هذا التوحيد وتوصل إلى الشرك .

**الوقفة الثانية:**

**شرح مفردات الباب:**

(رسولٌ من أنفسكم): هذا الرسول أرسله الله عز وجل فهو رسول من الله.
(من أنفسكم): أي من العرب منكم، ومن الناس بُعث ولم يكن من الملائكة.
(عزيز عليه): يعني شديدٌ عليه وصعب جداً .
(ما عنتم): ما يشق عليكم ويلحق الأذى بكم .
(حريصٌ عليكم): يعني شديد الرغبة عليكم في هدايتكم، والحرص: بذل الجهد المضاعف لإدراك المقصود .
(رؤوف): يعني رقيق القلب وهذا يتضمن الحلم على المرحوم.
(فإن تولوا): فإن أعرضوا .
(فقل حسبي الله): أي متوكلاً على الله معتمداً عليه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى .
(عليه توكلت): يعني عليه اعتمادي .
(وهو رب العرش العظيم): الرب هو الخالق. والعظيم: صفة لهذا العرش.
(لا تجعلوا بيوتكم قبوراً): بمعنى أنكم تهملونها فلا تعبدون الله فيها فتكون كالقبور
(ولا تجعلوا قبري عيدا): العيد هو ما يعتاد، فلا تجعلوا قبري مكاناً يعتاد مجيئه لتعبدوا الله سبحانه وتعالى عنده .

**الوقفة الثالثة** :

قوله عليه السلام : (**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**) معناه لا تجعلوها خالية من الصلاة ومن الدعاء ومن الذكر فتعطلوا هذه الأمور فتكون بمنزلة القبور؛ لأن القبور خالية من هذه العبادات، وهذا ملحظ عظيم؛ لأن البيوت يجب أن تكون عامرة بطاعة الله عز وجل من الصلاة وقراءة القرآن

والأذكار والكلام الطيب، والقصص الهادفة، الأخذ والعطاء، والتشاور، والتناصح، والهدوء و الطمأنينة، يجب أن تُعمر البيوت بهذه الأمور وإلا أصبحت كالقبور. والبيوت لساكنها، والساكن هنا هم هذه الأسرة، وهذه الأسرة لهم مشارك، وهذا المشارك إما أن يكون الملائكة وصالحي الجن إن كانت هذه الأسرة من أهل الطاعات من الصلاة والدعاء والقرآن والذكر والعلم المنافع وغير ذلك، فتشاركهم الملائكة يطمئنونهم ويؤمّنونهم ويدعون لهم ويشاركونهم في عباداتهم فتنزل السكينة والطمأنينة على هذا البيت وعلى أهله..

وإما أن تكون هذه البيوت خالية من هذه الأمور وربما تكون مهدومة بأمور معنوية، كأن تكون مملوءة بمزامير وملاهي وتماثيل معلقة، فحينئذٍ تشاركهم الشياطين، ومن ثم هذه الشياطين تؤز من في البيت أزا... فالقلق وعدم الارتياح في هذه البيت سائد والصراخ والمنازعة والمخاصمة، والرسول ﷺ هنا يؤكد هذا المعنى العظيم بهذه الجملة القصيرة قال : (**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**) كالقبور فاملؤوها بالطاعات .

**الوقفة الرابعة**:

حديث علي بن الحسين ﷺ أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: (**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**). رواه في (المختارة) ، يعني هذا الحديث رواه الضياء المقدسي في المختارة.

فَرُوي هذا الحديث عن علي بن الحسين، ﷺ عن علي بن أبي طالب ⊖أنه رأى رجلاً كان يجيء عند فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ يعني محلاً للجلوس، فعلي بن الحسين ﷺ لم يبعد عن عهد النبوة فجده علي بن أبي طالب ﷺ وجده عن طريق أمه رسول الله ﷺ فوجد هذه الفرجة في الجدار ليجلس فيها، فنهاه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ⊖، عن أن يجلس في هذا المكان لأن هذا وسيلة إلى الشرك، ثم روى هذا الحديث الذي سمعه عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**) وهذا تأكيد لما ذكره النص السابق في الحديث السابق من النهي أن يتخذ القبر عيداً يعني مكاناً للاعتياد، ولا أن تخلو البيوت من ذكر الله عز وجل فتكون كالقبور موحشة، وأيضاً أكد أنه عليه الصلاة والسلام أينما كان الإنسان وحيثما حل وارتحل تبلغه الصلاة والسلام عليه .

**الوقفة الخامسة:**

قد يقول قائل: إن هذه الصفات الواردة في الآية لرسول الله ﷺ من صفات الله عز وجل، فهل صفات المخلوق مثل صفات الخالق أو صفات الخالق مثل صفات المخلوق؟!

والجواب معلوم وهو أن لله سبحانه وتعالى صفات وأسماء تختلف عن أسماء وصفات المخلوقين وقد يشترك في الاسم لكن المعنى يختلف، فالله سبحانه وتعالى سمَّى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات وسمَّاه النبي ﷺ بأسماء ووصفه بصفات فنحن نؤمن بها كما جاءت مع معرفة ما تحتوي عليه من المعاني، لكن لا نكيّفها، بمعنى لا نقول: صفة الله مثل صفة خلقه، فلا نقول: الله رحيم وفلان رحيم ورحمة الله مثل رحمة فلان، لا، وإنما نقول: إنما هذا من صفات الله التي تليق بجلاله وعظمته جل وعلا ولا تشبه صفات المخلوقين، ولا أيضاً نعطل المعنى ولا نأوّلها ولا نكيفها فيه، كما قال الإمام مالك –رحمه الله- لما سُئل عن الاستواء قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

**الوقفة السادسة :**

زيارة قبر النبي ﷺ لا تشد الرحال إليه، فلا يسافر المسلم من أجل أنه يزور قبر النبي ﷺ، فلماذا هذا المنع ؟

والجواب: لأن النبي ﷺ قال: (**صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) ويقول في الحديث الآخر: (**فإن تسليمكم علي يبلغني حيث كنتم**). فلا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، أما خلافها فلا تشد الرحال من أجلها، لكن إذا زار المسلم مسجد الرسول الله ﷺ سنّ لـه أن يزور قبر النبي ﷺ ويسلم عليه، فلا شك أنه من الجفاء أن يدخل المسلم المدينة المنورة ثم يدخل المسجد النبوي ولا يسلم على النبي ﷺ ولا يزور قبره، وأيضاً من الأشياء التي ينبه عليها هنا في زيارة قبر النبي ﷺ وهو أن بعض المسلمين جهلاً منهم أو تجاهلاً أو تقليداً يغالون في هذا الأمر، فمنهم مثلاً من يتجه إلى القبر ويصلي إليه وهذا إذا لم يتجه إلى القبلة فصلاته غير صحيحة، وإما أن يتجه إلى القبر ويرفع يديه ويدعو وربما أنه قد يستدبر القبلة، وهذا أيضاً غير مشروع، فمن السنة في حال الدعاء استقبال القبلة .

ومنهم من يتوسل إلى النبي ﷺ والنبي ﷺ قد مات. وكل هذا مما حذر منه النبي ﷺ كما سبق بيانه.

**الوقفة السابعة** :

إن لم تجعل قبر النبي ﷺ عيداً فكيف تسلم عليه؟ وكيف نصلي عليه؟ وهل نصلي عليه ونحن في أقاصي الدنيا.

نعم فقد قال ✕ : (**وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) يعني في أي مكان وفي أي زمان يصلى على النبي ✕ وتصله هذه الصلاة وتبلغه عليه الصلاة والسلام، فلا يلزم من الصلاة عليه أن يسافر الإنسان إلى قبره صلوات الله وسلامه عليه، وإنما يصلي عليه وهو في بيته وهو في مكانه وفي بلده وفي أي بقعة كان وفي أي زمان كان فالصلاة تبلغ النبي ✕ . كما قال:(**لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) ولا شك أن هذا من فضل الله سبحانه إذ لم تكلف هذه الأمة إلا بما تطيق.

**الوقفة الثامنة** :

**من أهم حقوق النبي ✕ :**

1- الإيمان به عليه الصلاة والسلام وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن يصدق فيما أخبر، وألا يعبد الله إلا بما شرع .
2- محبته محبة تفوق كل محبة من محاب الدنيا، فهي في المنزلة بعد محبة الله عز وجل، فيجب أن تكون هذه المحبة أحب من أنفسنا وأحب من والدينا وأولادنا بل من الدنيا كلها، ومقتضى هذه المحبة طاعته في أوامره واجتناب نواهيه .
3- نشر سنته والدفاع عنها بل الدفاع عنه ✕ ؛ فنشر سنته وتعليمها للناس بأي وسيله من وسائل النشر تعليماً مباشراً بالكتابة من التأليف وغيره ومشافهة بالخطابة والدروس والمحاضرات وغير ذلك .
4- كثرة الصلاة والسلام عليه فإن الصلاة والسلام عليه باب من الأبواب التي تشفع يوم القيامة لصاحبها بأن يكون من أصحابه ومن المقربين منه، وكما أن الصلاة عليه من الأذكار المشروعة وباب من أبواب الرزق للإنسان .

**الوقفة التاسعة** :

**الزيارة المشروعة للقبور تهدف إلى أمرين :**

**الأمر الأول**: هو الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار لـه بأن يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يغفر لهذا الميت ويرحمه ويتجاوز عن سيئاته.

**الأمر الثاني**: هو الاعتبار والتفكر بأحوال الموتى، لعل الإنسان أن يرجع عن بعض أخطائه وزلاته، ويتذكر الموت والآخرة، ويتذكر ما سيلاقيه عند الله سبحانه وتعالى . فيصحح أوضاعه ويقوي إيمانه ويكثر من طاعة ربه .

## 22- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأوثَانَ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ژ ئۇ ئى ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ې ې ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى ژ [النساء: 51].

وَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ٱللَّهُ لَّعَنَهُ مَن ٱللَّهِۚ عِندَ مَثُوبَةً ذَٰلِكَ مِّن بِشَرٍّ أُنَبِّئُكُم هَلۡ قُلۡ ٱلطَّٰغُوتَۚ وَعَبَدَ وَٱلۡخَنَازِيرَ ٱلۡقِرَدَةَ مِنۡهُمُ وَجَعَلَ عَلَيۡهِ وَغَضِبَ﴾ [المائدة: 61].

وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿مَّسۡجِدًا عَلَيۡهِم لَنَتَّخِذَنَّ أَمۡرِهِمۡ عَلَىٰٓ غَلَبُواْ ٱلَّذِينَ قَالَ﴾ [الكهف: 21].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودَ والنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»[49] أخْرجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وإِنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْها. وأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ. وإِنِّي سألْتُ رَبِّي لأُمَّتي أَنْ لا يُهلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبيحَ بَيْضَتَهُمْ، وإِنَّ رَبِّي قَالَ: يا مُحَمَّدُ، إِذا قَضَيْتُ قضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وإِنِّي أعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسنَةٍ بعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بأَقْطارِهَا، حتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، ويَسْبي بعْضُهُمْ بَعضاً»[50].

---

[49] () أخرجه البخاري (رقم 3456) ومسلم (رقم 2669).

[50] () أخرجه مسلم (رقم 2889).

ورَوَاهُ البُرقَانيُّ في صَحيحِهِ وَزَادَ:«وإنَّما أَخافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضلِّينَ. وإذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّه سَيَكُونُ في أُمَّتي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّه نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيينَ لا نَبيَّ بَعْدِي، ولاَ تزالُ طائِفَةٌ منْ أُمَّتي عَلَى الْحقِّ مَنْصورةً، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَـهُمْ ولا من خَالفَهُم حَتَّى يأتيَ أمْرُ اللهِ، تَبَارَكَ وتَعَالى»[51].

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(الأوثان): جمع وثن وهو كل ما عُبد من دون الله .

(الجبت): كلمة عامة تقع على السحر وغيره .

(الطاغوت): كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة .

(وجعل منهم القردة والخنازير): أي مسخهم إلىً قردة وخنازير.

(السنن): هي الطرق.

(القذة) : هي ريشة السهم.

(زوى لي الأرض): أي طواها وجعلها مجموعة.

(أعطيت الكنزين الأحمر): وهو كنز قيصر وهو ملك الروم لأن غالب كنزهم الذهب.

(والأبيض): وهو كنز كسرى ملك الفرس، وغالب كنزهم الفضة .

(ألا يهلكها بسنة عامة) السنة : القحط والجدب وعامة أي عموماً .

(وإذا وقع عليهم السيف): أي القتال.

(حتى يلحق حي من أمتي) الحي: المراد به الجنس وليس واحد الأحياء .

(فئام) : جماعات .

**الوقفة الثانية :**

مناسبة إيراد قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ**﴾ [52] الآية في هذا الباب

لا تتبين مناسبة الآية إلا بحديث أبي سعيد **"لتركبن سنن من كان قبلكم"**

فإذا كان الذين أوتوا نصيباً من الكتاب وهم اليهود والنصارى يؤمنون بالجبت والطاغوت، وأن من هذه الأمة من يرتكب سنن من كان

---

**[51] () أخرجه أبو داود (رقم 4252) وابن ماجه (رقم 3952)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 1773).**

**[52] () سورة النساء ، آية (51).**

قبله، يلزم من هذا أن في هذه الأمة من يؤمن بالجبت والطاغوت، فتكون الآية مطابقة لترجمة الباب .

وهذه الآية وآية المائدة ، ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ**﴾ ذكرتا صفات أهل الكتاب فمناسبة الآيتين واحدة والله أعلم .

**الوقفة الثالثة :**

سبب نزول آية النساء : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾ .

روى ابن أبي حاتم عن كرمة ﷺ قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وكانا يهوديين إلى أهل مكة فقال أهل مكة لهما : أنتم أهل كتاب وأهل علم فأخبرونا عن أمر محمد؛ وهل ديننا خير أم دينه فقالا: أنتم خير وأهدى سبيلاً، فأنزل الله هذه الآية.

ولكن مَن الذين مسخهم الله إلى قردة وخنازير في آية المائدة : ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ**﴾ الآية. كلا المسخين كانا في اليهود، ولكن الخلاف من الذين مسخوا إلى قردة ومن الذين مسخوا إلى خنازير على أقوال منها :

1 - الذين كفروا بالمائدة التي أنزلت على عيسى مُسخوا إلى خنازير، وأصحاب السبت الذين حرم عليهم اصطياد الحيتان يوم السبت لما عصوا الله مسخهم إلى قردة .

2 - وقيل أيضاً إن أصحاب السبت مسخوا إلى خنازير .

3 - قيل إن الشباب مسخوا إلى قردة والشيوخ إلى خنازير .

**الوقفة الرابعة :**

مع حديث أبي سعيد ، (**لتتبعن سنن من كان قبلكم**) الحديث

يبين النبي ﷺ أن هذه الأمة سيكون منها من سيتبع اليهود والنصارى في أشياء كثيرة، منها ومن أجلّها اتباعهم في تعظيم الصالحين والغلو فيهم وفي اتخاذ القبور مساجد، وقد وقع هذا في بعض بلدان المسلمين وللأسف، وهذه معجزة من معجزاته ﷺ حيث أخبر عن غيب وقد وقع، فأمر التقليد لم ينتهِ إلى هذا الحد فلو نزلنا إلى حياتنا العملية لوجدنا من أبنائنا من قلدهم في لبسهم وقصات شعورهم وبعض مظاهرهم ونحوها.

وهذا الحديث فيه إشارة إلى أن المسلم عليه أن يعتز بدينه ويعلم أن الله اختاره من بين هؤلاء الناس ليجعله مسلماً، وفي المقابل تجده ينزل من قدره ويقلد هؤلاء الكفار وللأسف الشديد .

**الوقفة الخامسة :**

مع حديث ثوبان: (**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها**) الحديث.

يخبر النبي ﷺ أن الله طوى لـه الأرض وجمعها لـه فرأى مشرقها ومغربها، وأن ملك أمته يبلغ ما زوى لـه منها، وفي هذا بيان لقدرة الله، فأمره في (كن) فيكون .

ثم بعد هذا دعا الله أن لا يهلكها بسنة أي بقحط وجدب عموماً، وأن لا يسلط عليها عدواً من نفسها بل من سواها، فإن عدوها لو كان من نفسها لم تستطع التغلب عليه، فإن أفرادها إذا نحر بعضهم بعضاً سهل على عدوها هزيمتها والغلبة عليها، فمن سنن الله الكونية أن المتفرق يهزم ويكسر، والمجتَمع غير المتفرق لا يهزم وينصر بإذن الله، قال تعالى داعياً إلى الاجتماع: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ [53] .

وشاهد الحديث جاء في رواية البرقاني (**ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌ من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**).

وذكر قبلها أن القتل إذا وقع في هذه الأمة لن يرفع، وسيظهر كذابون يدعون النبوة، وهذه كلها نبوءات منه ﷺ تدل على صدق نبوته.

ثم بشر باستمرار أهل الحق ولو كانوا قلة، واستمرارهم ماضٍ إلى يوم القيامة .

**الوقفة السادسة :**

**أخطاء يجب على المسلم الحذر منها :**

1 - على المسلم الحذر من تقليد الغرب الكافر في ما يخصهم، فإن النبي ﷺ أخبر أننا سنتبع أهل الكتاب في أشياء كثيرة، ومن أعظمها الغلو في القبور وعبادتها .

2 - الحذر من الفرقة فإنها تضعف الأمة المسلمة وتقوي عدوها عليها، والاجتماع قوة وغلبة على العدو.

3 - في حديث أبي سعيد الخدري وكذلك حديث ثوبان دليل على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ فقد وقع بعض ما قال، نسأل الله أن يلطف بحالنا .

## 23 - بَابُ مَا جَاءَ فـي السِّحرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾

---

[53] () **سورة آل عمران ، الآية (103).**

﴿ [البقرة: 102]. وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱلطَّٰغُوتِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ ﴾ [النساء: 51].

قَالَ عُمَرُ: الْجِبْتُ: السِّحْرُ. والطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ[54]. وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّوَاغِيتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حيٍّ وَاحِدٌ[55].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ:«الشِّرْكُ بِاللهِ، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤمِنَاتِ»[56].

وَعَنْ جُنْدُبٍ مرفوعاً: «حَدُّ السّاحِرِ ضَرْبُه بِالسَّيْفِ»[57] رَوَاهُ التِّرمِذيُّ. وَقَالَ: الصحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ.

وَفي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: كتب عُمَرُ بْنُ الخطّابِ: «أَنِ اقْتُلُوا كلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرةٍ» قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلاَثَ سَوَاحِرَ[58]. وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَة سَحَرَتْهَا. فَقُتِلَتْ[59]. وكذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ[60]. قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

**الوقفة الأولى :**

شرح مفردات الباب:

**(السحر)** : لغةً ما خفي ولطف سببه .

واصطلاحًا: هو عقد وعزائم وتعاويذ ورقى يعملها الساحر، ومن خلالها يؤثر على المسحور عن طريق الشياطين .

**(الطاغوت)**: كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ بهذه العبادة .

**(الشيطان)** : اسم جنس .

**(اجتنبوا)** : أي ابتعدوا .

**(السبع)** : العدد هنا لا مفهوم لـه فهناك موبقات غير هذه السبع.

---

**[54] () أخرجه البخاري معلقا في كتاب التفسير، باب ﴿ ﴾.**

**[55] () فتح الباري (8/251).**

**[56] () أخرجه البخاري (رقم 2766) ومسلم (رقم89).**

**[57] () أخرجه الترمذي (رقم 1460) والحاكم (4/360) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم، فإنه غريب صحيح، وله شاهد صحيح على شرطهما جميعاً في ضد هذا. ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضاً الطبراني في معجمه الكبير (2/161 رقم 1665، 1666) والدارقطني في سننه (رقم (3179) والبيهقي (8/136) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم 2699).**

**[58] () أخرجه أحمد (1/190- 191) وأبو داود (رقم 3043) وهذا اللفظ لم أجده في البخاري، كما ذكر المصنف رحمه الله, وأصل الحديث عنده (رقم 3156، 3157).**

**[59] () أخرجه مالك بلاغاً (2/377 رقم 1672) والبيهقي موصولاً (8/136).**

**[60] () قال البخاري رحمه الله في تاريخه الكبير (2/222): جندب بن كعب قاتل الساحر، عن خالد الحذاء عن أبي عثمان: كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنساناً وأبان رأسه، فعجبنا، فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله. أ.هـ**

(**الموبقات**): جمع موبقة أي مهلكة والإيباق: الإهلاك من قولك أو بقت الشيء أي أهلكته.

(**الربا**): لغة : الزيادة، وهو في الاصطلاح: الزيادة في أشياء مخصوصة [61] ، وله تفصيلات كثيرة معلومة في بابه.

(**اليتيم**) : وهو من فقد أباه ولم يبلغ الحلم، وبعض أهل العلم يطلق اليتيم على من ماتت أمه. والصحيح الأول.

(**التولي**): الهروب والابتعاد والتخلي.

(**الحد**): هي العقوبة التي شرعت على الذنوب زجراً لمن اقترفها .

**الوقفة الثانية:**

ذكر المؤلف - رحمه الله - في كتاب التوحيد في أوله، أبواباً في تقرير التوحيد وبيان فضله، ثم ذكر أبواباً مترتبة على التوحيد، ثم ذكر شيئاً من مناقضات التوحيد فمنها ما يناقض كمال التوحيد ومنها ما يناقض أصل التوحيد، وهذا الباب فيما يتعلق بالسحر بيان لمناقضة أصل التوحيد.

**الوقفة الثالثة:**

**السحر معروف وواقع ويؤثر على المسحور، وذلك لعدة أدلة منها :**

1 - أن الله - عز وجل - أمر بالاستعاذة من شره بقوله : ﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ [62] .

2 - أن الله تعالى ذكر نوعاً من فعلهم فقال : ﴿**مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾[63].

3 - أن عمل السحر أو ضرره لا يخرج عن إرادة الله فقال تعالى: ﴿**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[64].

ويتمكن الساحر من الإضرار بالمسحور: بواسطة الشياطين، فالشيطان يتلبس بالإنسان ويؤثر عليه إما صرفاً أو عطفاً أو تغييراً في خلقته أو تغيراً في طبيعته على حسب ما يطلب منه الساحر.

**ولكن لماذا السحر يناقض دين الله؟** أو لماذا يكفر الساحر إذا عمل السحر؟ لأن الشياطين لا يمكن أن تخدم الساحر حتى يطيعها في معصية الله؛ إما بالذبح لها أو إهانة القرآن الكريم أو بترك الصلاة وغير ذلك ، وهذه كلها أعمال شركية وكفرية تخرج من دائرة الإسلام .

**الوقفة الرابعة:**

---

[61] () المغني (4/5) .

[62] () **سورة الفلق ، الآية (4) .**

[63] () **سورة البقرة ، الآية (102).**

[64] () **سورة البقرة ، الآية (102).**

**إن قال قائل** : ما تأثير السحر في المسحور ؟ **فالجواب** : أن تأثير السحر قد يكون كلياً أو جزئياً فيكون كلياً شاملاً لجسم الإنسان وعقله وعلاقاته مع الآخرين أو يكون في جزئية معينة في حياته؛ كالعطف بين متباغضين أو أن يصده عن المسجد أو البيت أو العمل، أو يكون في جسمه كأن يعطل يده وهكذا .

**الوقفة الخامسة :**

قال الله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**﴾ تعني الآية أن هذا الساحر اشترى هذا السحر ورضي به عن شرع الله سبحانه وعن دينه، فبيّن سبحانه أنه ليس لـه ﴿**فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**﴾ حظ ولا نصيب، وهذه إشارة بأن الساحر انتقل من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر والعياذ بالله.

وقول الله تعالى : ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾ هذه الآية بيان لحال هؤلاء وأنهم يؤمنون بالسحر والطاغوت، وهذه من صفات اليهود فاليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت، وقد تقدم تعريف الجبت في الباب السابق بأنه السحر، وهذا من إطلاق الكل على البعض لأن السحر هو الجبت وغيره .

والذين يؤمنون بالجبت والطاغوت معذبون كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً**﴾ [65] فهذا جزاؤهم والعياذ بالله .

**الوقفة السادسة :**

مع حديث (**اجتنبوا السبع الموبقات**) . فقد دل الحديث على أن هذه الأمور المذكورة فيه من الكبائر العظيمة التي يستحق صاحبها العقاب الشديد من عند الله **وأولها**: الشرك بالله، بدأ ﷺ به لأنه أكبر الكبائر، وهو الذنب الذي لا يغفر : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ [66] .

فمن عبد غير الله أو صرف أي عبادة لغيره أو معه فهو مشرك؛ كأن ينذر لغير الله أو يدعو غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو يطوف على قبرٍ ويدعوه كما يدعو الله، فهذا مشرك خرج عن دائرة الإسلام، والعياذ بالله.

**الموبق الثاني**: السحر (وهو موضع شاهد الباب) وهو كبيرة من الكبائر قد فصّل أهل العلم حكمه، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله .

**الموبق الثالث**: قتل النفس بغير حق، وهذه من أكبر الكبائر فقد توعد

---

[65] () **سورة النساء، الآية (50-51).**

[66] () **سورة النساء ، الآية (116).**

الله من يقتل نفساً مؤمنة بغير حق في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾ [67] .

**والقاتل كما ذكر بعض أهل العلم أنه يتعلق به ثلاثة حقوق** : حق لله ويسقط بالتوبة الصادقة، وحق لأولياء المقتول ويسقط بأخذ الديّة أو القصاص أو العفو، وحق للمقتول فقد ذكر النبي ﷺ أنه يؤتى يوم القيامة بالمقتول فيتعلق بالقاتل يوم القيامة ويقول: يا رب سل هذا فيم قتلني [68] ؟ فإن تاب القاتل فإن الله سبحانه يتحمله عن عبده القاتل ويرضي المقتول والله أعلم [69] .

**الموبق الرابع**: أكل الربا وهو من أكبر الكبائر، ولم يتوعد الله عز وجل بلفظ الحرب إلا المتعامل بالربا ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [70] وقد تساهل كثير من الناس في التعامل بالربا، فصاروا يبحثون عن تأويلات هنا وهناك لتحليل هذه المعاملة أو تلك، ولهذا لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: **(هم سواء)**[71].

**الموبق الخامس**: أكل مال اليتيم الذي فقدَ أباه فهو لا يحسن التصرف في ماله، فيأتي وليه أو موكله فيأكل من ماله ويبخس حقه ولا يبالي، وقد توعد الله من فعل هذا بقوله : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ [72] .

**الموبق السادس**: التولي يوم الزحف، توعده الله بقوله : ﴿**فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[73] .

**الموبق السابع**: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات . القذف عام للرجل والمرأة، فعقوبة القاذف الجلد ثمانين جلدة، وقد جاء ذكر وعيد هؤلاء في القرآن بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [74] .

---

[67] سورة النساء ، الآية (93) .

[68] رواه النسائي في كتاب: تحريم الدم، باب: تعظيم الدم ، برقم (3999)، وصححه الألباني في الترغيب برقم (2448) .

[69] ينظر: السبك الفريد (2/15).

[70] سورة البقرة ، الآية (279) .

[71] رواه البخاري في كتاب: الباس، باب: من لعن المصور، برقم (5617)، ورواه مسلم في كتاب: المساقاة، باب : لعن آكل الربا وموكله، برقم (1597).

[72] سورة النساء ، الآية (10).

[73] سورة الأنفال، الآية (16).

[74] سورة النور، الآية (23).

**الوقفة السابعة:**

**كيف يتقي العبد السحر قبل وقوعه؟**

1 - التعبد لله بعقيدة صافية؛ لأنه بذلك سيقوي عنده جانب التوكل والاعتماد على الله والرضا بقضائه وقدره .

2 - المحافظة على الأعمال الصالحة والقيام بها على أكمل وجه .

3 - المحافظة على الأذكار الشرعية والأذكار، منها المطلق كقراءة القرآن والثناء على الله والدعاء . ومنها المقيد كأذكار الصباح والمساء وأذكار النوم ودخول البيت وغيرها.

4 - الابتعاد عن المعاصي ابتعاداً كلياً .

5 - تطهير البيت من الأسباب التي تجلب الشياطين كالصور والتماثيل وأصوات المزامير.

أما معالجة السحر بعد وقوعه فتكون بما ذكر من أسباب الوقاية مع الرقية الشرعية، والأخذ بالأسباب التي ثبت بالتجربة نجاحها كالاغتسال بالسدر وشرب ماء زمزم وغيره، وقى الله الجميع شر السحر والسحرة.

**الوقفة الثامنة:**

في حد الساحر وحكم الإتيان إليه، فحد الساحر هو القتل كما جاء عن جندب مرفوعاً في حديث الباب: (**حد الساحر ضربُه بالسيف**) .

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر، وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت، وكذا عن جندب ، قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي 🎁 .

وذكر المصنف كل هذه الآثار في قتل الساحر وأن حده السيف ، ولم يذكروا أنه كان يستتاب، بل يُقتل متى ما عُرف أنه ساحر، وهذا قول الجمهور.

**أما حكم الإتيان إليه : ففيه تفصيل :**

إن كان هذا الشخص يعتقد أن هذا الساحر يملك النفع أو الضر أو أن لـه تأثيراً في الكون فهذا قد خرج من الإسلام إلى الكفر .

أما إذا كان يعتقد أن الأمور بيد الله، ولكن أريد الانتقام من فلان مثلاً فهذا على خطر عظيم وهذا من أكبر الكبائر .

**الوقفة التاسعة :**

**من أخطاء الناس في هذا الباب :**

إن كثيراً من الناس يظن ويتوهم أنه مسحور وأن فلاناً سحره فقد يراه

في المنام من خلال التفاعل النفسي، فيتصل على من يؤول لـه هذه الرؤيا فيقول: أنت مسحور، فتبدأ معه سلسلة من الأوهام التي قد تودي بحياته كلها، والأمر أهون من هذا بكثير ، فكثرة الأوهام في هذا الأمر مرض بحد ذاتها .

ومن الناس من قد لا يتحرى في معرفة مدى خبرة هذا الراقي وهل هو ثقة في دينه وأمانته فمن الراقين من قد لا يعرف الفرق بين ما هو متعلق بالأعصاب وما هو متعلق بالسحر .

السحرة ليسوا كما يظنهم البعض أن بيدهم كل شيء، وأنهم لا يقهرون، ويتخوف منهم، فلو كان هؤلاء السحرة لهم هذه القوة المزعومة لجلبوها لأنفسهم ولملكوا الدنيا، ولكنهم بالعكس لا يعيشون إلا في الأمكنة القذرة، ولا يملكون الضر والنفع لأنفسهم فكيف يملكونه لغيرهم؟.

**الوقفة العاشرة:**

**هل يمكن الجمع بين الرقية الشرعية والطب النفسي؟**

إذا أصيب المسلم بمرض فعليه أن يشخص نفسه تشخيصاً دقيقاً، فمن الناس من يصاب بمرض يتوهم أنه أصيب بعين أو سحر وهو في الحقيقة لم يصب بشيء، فكثرة الأوهام والشكوك مرض بحد ذاته، والطب النفسي يؤكد أن الشخص قد تأتيه مصيبة شديدة فيغتم لها، ثم يعود أثرها على البدن من صداع ونحوه فيتوقع المريض أنه مصاب بعين، وفي الحقيقة هو يحتاج لعلاج نفسي.

ثم على من أصيب بعين أن يرقي نفسه إن استطاع، أو يرقيه من يثق بدينه وعلمه، فيرقي نفسه بالقرآن، والقرآن شفاء لكل مرض قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [75] ، ولا بأس من استخدام الأدوية التي يصفها الطبيب النفسي المسلم الموثوق به المختص بهذا المجال؛ لأن من هذه الأدوية ما يقوي الإرادة لدى المريض، وعليه أن يحذر من الأدوية التي تستمر معه مدى الحياة إلا بعد التأكد أنه لا غنى عنها.

وبهذا نقول : نعم يمكن الجمع بين الرقية الشرعية والطب النفسي فهما طريقان لا يتعارضان كما قد يظن البعض. وإنما يسيران في خطين متوازيين.

وبناءً على هذا يمكن علاج الأمراض بالعلاج الأصل، وهو القرآن الكريم والأدعية المأثورة النبوية، ثم ما يتيسر من الأدوية من الطبيب

---

[75] () **سورة الإسراء ، الآية (82).**

العارف الموثوق.
والسحر مرض من الأمراض يعالج بالأصل – كما سبق – وقد يحتاج المريض – بحسب مرضه – إلى علاج بما يتيسر من الأدوية والله أعلم .

## 24- بابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بنِ العَلاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ ابنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ✕ قَالَ: «إِنَّ العِيَافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ»[76]. قَالَ عَوْفٌ: العِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ. والطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ. والجِبْتُ: قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانِ[77]. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. ولأَبِي دَاوُدَ والنَّسَائِيِّ وابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، المُسْنَدُ مِنْهُ.

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»[78] رواهُ أَبُو دَاودَ، وإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

---

[76]() **أخرجه أحمد (3/477) و(5/60) وأبو داود (رقم 3907، 3908) والطبراني في الكبير (18/369 رقم 941 - 945) والبغوي في شرح السنة (12/177 رقم 3256) والبيهقي (8/139) وابن حبان في صحيحه (7/646 رقم 6098). قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين (رقم 1679): رواه أبو داود بإسناد حسن.**

[77]() **كذا بالأصل، والذي عند أحمد (5/60): «إنه الشيطان». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما افتتح النبي ✕ مكة رنَّ إبليس رنَّة اجتمعت إليه جنوده فقال: ايئسوا أن ترتد أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم وأفشوا فيهم النوح. أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (12/11/رقم 12318) وقال الهيثمي في المجمع (3/16): رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.**

[78]() **أخرجه أحمد (1/311) وأبو داود (رقم 3905) وابن ماجه (رقم 3726) والبيهقي في الكبرى (8/138- 139) والطبراني في الكبير (11/135 رقم 11278) قال النووي في رياض الصالحين (رقم 1680): رواه أبو داود بإسناد صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 6074).**

ولِلنَّسائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، ومَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، ومَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ»[79]

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «أَلاَ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ: النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»[80] رَواهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[81].

---

[79] () أخرجه النسائي (7/112 رقم 4076) .

[80] () أخرجه مسلم (رقم 2606).

[81] () أخرجه البخاري (رقم 5146).

**الوقفة الأولى :**

**شرح مفردات الباب:**

(العيافة): مصدر عاف يعيف عيافة وهي زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل، حيث كانوا يتشاءمون من الطير بأسمائها وأنواعها وأصواتها .

(الطرق) : هو الخط يخط في الأرض، يخطه الساحر أو الدجال فيظن المقابل أنه بهذه الخطوط يعلم من خلالها الغيب .

(الطيرة): على وزن فِعَلَة وفيه التشاؤم بمرئي أو مسموع، وقيل التشاؤم بمعلوم مرئياً كان أو مسموعاً زماناً كان أو مكاناً، وهذا تعريف شامل.

(الجبت): كما قال الحسن : رنة الشيطان، وهذا جزء من الجبت، فيدخل فيه كل صوت من أصوات الشياطين، ويدخل فيها الملاهي وغيرها .

(اقتبس) : تعلم .

(شعبة): طائفة.

(من النجوم): يسمى التعامل بهذا بالتنجيم وهو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية .

(ثم نفث فيها): النفث : النفخ بريق خفيف، والمراد هنا النفث من أجل السحر.

(العَضْهُ): على وزن الحبل والوعد وهي القطع .

وأما على رواية العِضة على وزن عِدة فهي التفريق .

(النميمة): على وزن فعيلة، وهي نقل الحديث بين الناس على وجه الإفساد .

(القالة): كثرة القول بين الناس.

(البيان): الفصاحة والبلاغة .

**الوقفة الثانية:**

لما ذكر المصنف - رحمه الله - السحر وأنه ناقض من نواقض التوحيد قد ينقض أصله وقد ينقض كماله ، فأراد أن يبين هنا أن السحر أنواع كثيرة حتى لا يغتر شخص من الناس بهؤلاء السحرة إذا سمّوا أنفسهم بأسماء أخرى - كما سيأتي في هذا الباب - والحقيقة أن تعاملهم هذا هو نوع من السحر وأنهم سحرة يجب الحذر منهم .

**الوقفة الثالثة:**

**ما وجه كون العيافة والطرق والطيرة والتنجيم والنميمة والبيان من السحر؟**

**الجواب على ذلك :**

**أن العيافة** : كونها من السحر لأن الإنسان يستند فيها إلى أمر لا حقيقة لـه، فكون الطير يذهب يميناً أو شمالاً أو غير ذلك فلا أصل لـه وليس بسبب شرعي ولا حسي، فإذا اعتمد عليه فقد اعتمد على أمر خفي لا حقيقة لـه، وهذا سحر بالمعنى اللغوي.

**والطيرة** : لأنها مثل العيافة تستند على أمر خفي لا حقيقة لـه .

**والطرق**: من السحر لأنهم يستعملونه في السحر ويتوصلون به إليه.

**والتنجيم** : أيضاً لأنها تستند على أمر خفي لا حقيقة لـه .

**والنميمة** : أشبهت السحر من جهة الإفساد، فنقل الحديث بين الناس سواءً كان صدقاً أو كذباً على وجه الإفساد فإنه بذلك يفرق بينهم ويجعلهم أحزاباً، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أم الجماعات .

**والبيان** : كونه يشبه السحر وذلك لأنه يأخذ بلب السمع فيصرفه أو يعطفه، فيظن السامع أن الباطل حق لقوة تأثير المتكلم فينصرف إليه، فهو من جنس السحر الذي يسمى عطفاً وصرفاً.

**الوقفة الرابعة:**

مع حديث أبي هريرة : (**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر**) الحديث. في هذا بيان كيفية عمل الساحر والتحذير من ذلك .

والساحر يقوم بعقد عقد والنفث فيها ، ويتعامل مع الشياطين برموز، ثم بين ✕ أن (**من تعلق شيئاً وكل إليه**) فمن تعلق بغير الله فقد يجره هذا العمل إلى الشرك بالله لأن فيه اعتماداً على غير الله، والناس قد يقعون في هذا من غير أن يشعروا، فتجد المريض قد يذهب إلى الطبيب لطلب العلاج لكنه يعتقد أن هذا الطبيب يشفي، ثم يبحث عن واسطة لهذا الطبيب وكأن الطبيب إذا جاء من يعرفه أعطاه الشفاء، ولا يدري هذا المسكين أن الطبيب إنما هو سبب إن شاء الله جعل على يديه الشفاء وإلا فقد يصف الدواء بحسب خبرته، ولكن هذا الدواء لا يعالج الداء فلا يُشفى المريض، ولذا فُرّق بين الدواء والشفاء لأن الدواء قد يصيب موضع الداء فيشفى المريض وقد لا يصيبه فلا يشفى ولهذا سمي دواء، فمن توكل على الله حق التوكل تحقق لـه الشفاء سواء بواسطة هذا الدواء أو غيره كالقرآن ، ومن هنا يتبين لنا أهمية التوكل على الله وأن من توكل عليه كفاه .

**الوقفة الخامسة :**

**أضرار النميمة وكيف السبيل لتركها؟ فمن أضرارها :**

1 - إفساد الود والمحبة والأخوة بين الناس .

2 - انتشار سوء الظن بين الناس .

3 - التقول على الإنسان بما لم يقله، وهذا جمع بين جريمتين النميمة

والكذب وكلاهما ذنبان كبيران.

4 - دخول الشيطان بين الناس، وإذا دخل عليهم الشيطان أفسد عليهم عباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم .

5 - والنميمة سبب في عذاب القبر ، كما صح في الحديث.

**أما السبيل إلى تركها :**

**أ - بالنسبة إلى من وقع فيها :**

1 - تعظيم الخوف من الله واستشعار عظمة العقوبة في ذلك .

2 - أن يتذكر أن أمره سيكشف إما عاجلاً أو آجلاً .

3 - أن يتذكر أن النميمة من الذنوب المتعدي ضررها إلى الغير فهي أعظم إثماً من غيرها وعقوبتها مضاعفة، ولهذا جعلها النبي ✕ من العضه وهي القطع والبُهت.

4 - يتذكر قول الله تعالى : ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [82] .

5 - أن يشغل وقته بذكر الله وأن يشغل مجلسه في ما هو مفيد أو على الأقل فيما لا إثم فيه .

**ب - بالنسبة إلى المستمع لها :**

أن ينصح النمام أو المغتاب بالوسيلة الأنسب، فإن لم يستجب المتحدث فليشغل نفسه عن سماعه لـه بالتحدث لشخص آخر، فإن لم يستطع أن يتشاغل عنه فليخرج عن هذا المجلس، فإن لم يستطع الخروج شغل وقته بذكر الله .

**الوقفة السادسة :**

ليس كل البيان مذموماً فالهدي النبوي يشير إلى أن الكلام بحسب بلاغته يؤثر على المستمع سلباً أو إيجاباً ، فإن كان الكلام جيداً صار أثره إيجابياً وإن كان سيئاً صار أثره سلبياً . وهذا قال ✕ : **(إن من البيان لسحرا )** .

**الوقفة السابعة :**

إذا ضعف الإيمان والتوكل على الله عند العبد فإنه سيتبع أي سبيل يبعث عنده روح الإرادة والقوة في نفسه، ولهذا تجد الكثير يريد أن يعرف مستقبله القريب أو البعيد، سواء كان ذلك عن طريق العيافة أو الطرق أو الطيرة أو الاستدلال بالنجوم لمعرفة ما ينتظره في المستقبل، كل هذا يدل على ضعف اليقين وضعف التوكل، فليتنبه المسلم إلى ذلك، ويقوي توكله

---

[82] () **سورة ق، الآية (18) .**

على الله تعالى وارتباطه به، فلا يلجأ إلى تلك الوسائل الضعيفة ، فترديه المهالك في الدنيا والآخرة .

## 25- بَابُ مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ ونَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ✕ عنِ النَّبِيِّ ✕ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»[83].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ✕ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ✕»[84] رَوَاهُ أَبو دَاودَ.

ولِلأَرْبَعَةِ والحَاكِمِ وقَالَ: صَحيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، عَنْ [أبي هُرَيْرَةَ] عن النبي ✕ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ✕»[85].

ولأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا[86].

وعَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ ﷺ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ، أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ، أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ، أَوْ سُحِرَ لَهُ، ومَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا

---

[83] () أخرجه مسلم (رقم 2230) وليس فيه جملة: «فصدقه بما يقول» وهي عند أحمد في المسند (4/68) (5/380)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 5940).

[84] () أخرجه أبو داود (رقم 3904)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 5942).

[85] () أخرجه الترمذي (رقم 135) وابن ماجه (رقم 639) وأحمد (2/429) والحاكم (1/8) والبيهقي في الكبرى (7/321) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 5939).

[86] () أخرجه أبو يعلى (9/280 رقم 5408) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (5/121): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، إلا أنه قال: فصدقه. وكذلك رواية البزار ورجال الكبير والبزار ثقات. ثم قال بعد أن أورد رواية عبد الله بن مسعود: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة ابن مريم وهو ثقة.

يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[87] رَوَاهُ البَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، ورَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ في الأوسط بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى» إِلى آخِرِهِ[88].

قَالَ البَغَوِيُّ: العَرَّافُ: الذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى المَسْرُوقِ ومَكَانِ الضَّالَّةِ ونَحْوِ ذَلِكَ وقِيلَ هُوَ: الكَاهِنُ. والكَاهِنُ: هُوَ الذِي يُخْبِرُ عَنِ المُغَيَّبَاتِ فِي المُسْتَقْبَلِ. وقِيلَ: الذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ابنُ تَيْمِيَّةَ: العَرَّافُ: اِسْمٌ لِلْكَاهِنِ والمُنَجِّمِ والرَّمَّالِ ونَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ «يَكْتُبُونَ» أَبَا جَادٍ ويَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: ما أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلاَقٍ[89].

---

[87] () أخرجه الطبراني في الكبير (18/162 رقم 355) قال الهيثمي في المجمع (5/120): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 5435).

[88] () قال الهيثمي في مجمع الزوائد (5/120): رواه البزار والطبراني في الأوسط .

[89] () يروى في ذلك حديث مرفوع فيه: «رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة». أخرجه الطبراني في الكبير (11/41 رقم 10980) وقال الهيثمي في المجمع (5/120): رواه الطبراني وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم 3092) وقال في السلسلة الضعيفة (1/421 رقم 417): موضوع.
قال الفيروزآبادي رحمه الله في القاموس (ص275): ووقعوا في أبيجاد، أي في باطل.

**الوقفة الأولى :**

**شرح مفردات الباب:**

(الكهان) جمع كاهن، وهو الذي يأخذ من مسترق السمع ويخبر عن المغيبات في المستقبل. وسبق في أبواب السحر طريقة استراق الجن للسمع فيرجع إليه .

(العراف): الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها .

وقيل هو الكاهن: وقيل اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يستدل على معرفة الغيب بمقدمات .

(تطير أو تطير لـه) الطيرة: هي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم أو غير ذلك ومعناه في الحديث (تطير) هو الذي قام بفعل الطيرة إما بزجر الطيرة أو غيره.

(أو تُطُير لـه) أمر من يتطير لـه غيره بأن يزجر طيره مثلاً.

وكذلك (أو تُكُهِّن لـه) أي طلب من الكاهن أن يتكهن لـه .

(يكتبون (أبا جاد)) هذه اختصار لمجموعة حروف يقطعونها إلى مربعات ويدعون من خلالها معرفة الغيب .

**الوقفة الثانية:**

إن أعمال الكهانة وغيرها إما أن تكون ناقضة لأصل التوحيد وقد تكون قادحة في كمال التوحيد إذا استعملها من باب العبث، وسيأتي تفصيله إن شاء الله، وبهذا يتبين مناسبة الباب لكتاب التوحيد.

**الوقفة الثالثة :**

**حكم العرافة والكهانة وحكم سؤال العرافين والكهان :**

**حكم الكهانة والعرافة : الكاهن أو العراف يكفر من وجهين :**

أ - إذا كان يستخدم الجن فيما يدعي علمه به فهو كافر كفراً أكبر؛ لأن الجن لا تخدمه حتى يكفر بالله ويهين القرآن وغير ذلك من أعمال الكفر التي تخالف التوحيد .

ب - ادعاؤه للغيب وهذا مكفر آخر .

**أما حكم سؤالهما : لـه عدة حالات :**

1 - أن يسأله سؤالاً مجرداً، فهذا حرام لا تقبل لـه صلاة أربعين يوماً كما في حديث الباب .

2 - أن يسأله ويصدقه وهذا فيه تفصيل :

أ - إن صدقه على أنه فعلاً يعلم الغيب فقد كفر للحديث .

ب - إن سأله وهو يعلم أنه يستخدم الشياطين وقد يصيب وقد يخطئ فهذا على خطر عظيم وقد وقع في كبيرة من الكبائر .

3 - أن يسأله ليختبره فلا بأس به لسؤال النبي ✕ ابن صياد عن الخبيء الذي خبأه لـه [90] .

4 - أن يسأله ليبين كذبه وعجزه فهذا مطلوب بل قد يكون واجباً [91] .

**الوقفة الرابعة: أخطاء وتنبيهات:**

1 - على المسلم أن يقوي صلته بالله، ويعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، وأن الأمر كله بيد الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومقاليد الأمور كلها عنده سبحانه، فعلق نفسك به واطلب منه العون وتوكل عليه في شؤونك كلها فلا تطلب من دونه بديلاً .

2 - الكاهن والعراف وغيرهما ممن يدعي علم الغيب ويزعم أنه يستطيع أن يكشف المستقبل فهو كافر إذ لا يعلم الغيب إلا الله، فمهما تغير مسمى هذا المدعي ما دام أن الهدف واحد فاحذر منه وتنبه حتى لا تقع في الإثم والخطئية .

3 - الحذر من سؤال مدعي الغيب؛ فإنك إن سألته ولم تصدقه أو صدقته وقعت في المحذور بحسب ما قدمنا لك تفصيله، فاحذر حتى لا تحرم أجر صلاة أربعين يوماً أو تقع في الكبيرة أو تقع في الكفر والعياذ بالله .

## 26- بَابُ ما جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»[92] رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وأَبُو دَاوُدَ، وقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟

---

**[90] () رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي (2827)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد (5215).**

**[91] () ينظر: القول المفيد (1/531) .**

**[92] () أخرجه أحمد (3/294) وأبو داود (رقم 3868) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (10/233): ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر.**

فَقَالَ: ابنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ.

وفِي «البُخَارِيِّ» عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لابنِ المُسَيِّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟ قَالَ: لا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلاَحَ، فَأَمَّا ما يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ[93]. انتهى ورُوِي عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لا يَحُلُّ السِّحْرَ إِلاَّ سَاحِرٌ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ المَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وهُوَ الذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ والمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسْحُورِ.

والثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ والتَّعَوُّذَاتِ والأَدْوِيَةِ والدَّعَوَاتِ المُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

**الوقفة الأولى :**

**شرح مفردات الباب:**

(النشرة) لغةً: بضم النون من نشر الشيء إذا فرقه .

واصطلاحاً: حل السحر عن المسحور .

سميت بذلك لأن الذي يحل السحر عن المسحور يكشفه ويزيله ويفرقه .

**وهي نوعان :**

**الأول**: حل السحر بسحر مثله وهي النشرة المعروفة في الجاهلية .

**الثاني**: حل السحر بالقرآن والأدعية والأسباب المشروعة.

(به طب): يعني به سحر ويقال: طب من باب التفاؤل .

---

[93] () **أخرجه البخاري معلقاً في كتاب: الطب، باب: هل يستخرج السحر (ص1129).**

(يؤخذ عن امرأته) : أي لا يستطيع أن يمارس مع امرأته الممارسة الشرعية.

**الوقفة الثانية :**

**حكم النُشرة :**

**أ/النشرة بمعنى حل السحر بسحر مثله لا تجوز**، وقد أخبر النبي ﷺ فيما رواه أحمد وأبو داود أنها من عمل الشيطان ، وقال الإمام أحمد لما سُئل عنها قال، ابن مسعود كان يكره هذا كله، والكراهية هنا بمعنى التحريم، **فذهاب المسحور للساحر لا يجوز لأمور**:

**أولاً**: أن المسحور لما ذهب إلى الساحر ليفكه فهو اعتقد أنه هو الذي يحل هذا السحر وقد يستطيع حله لأنه بحسب نوع الشياطين الذين معه، فإن كانت الشياطين التي مع هذا الساحر أقوى من الشياطين التي سحر بها فهذا قد يقدر، وأما إذا كانت الشياطين أضعف فلا يستطيع ولا يقدر . وقد يكون هناك تنسيق بينهما . وكل هذا من التلاعب بالإنسان ، وفي الأغلب يرجع إليه السحر مرة أخرى ليتلاعب به وهكذا، والله جل وعلا لم يجعل الإنسان لعبة للشياطين وذهابه إليهم يجعله كذلك.

**ثانياً**: أن الله سبحانه وتعالى حرم السحر وجعله كفراً ، فإن قلنا إنه يجوز أن يحل السحر بسحر مثله كأننا نروج لبضاعة هؤلاء الشياطين بهؤلاء السحرة .

**ثالثاً**: ما دامت المسألة متعلقة بالشياطين فما يمنع هذا الشيطان الذي فك السحر أن يجعله يوماً أو يومين أو ثلاثة ثم يعيده، فهو فكه بناءً على التقرب لـه من الساحر من ذبح أو نذر أو خدمة معينة، فقد يعيده بعد فترة لكي يتقرب إليه الساحر لتستمر العملية بهذا الدوران، ومن ثم ينتشر هؤلاء السحرة وتنتشر أعمالهم ويتعلق بهم الناس .

**رابعاً** : أنه يقذف في قلبه قدرة هذا الساحر على أمور لم يقدر عليها كل الناس، وهذا ابتلاء شديد بأن يضعف توحيد الإنسان وتعلقه بالله سبحانه وتعالى .

**خامساً**: أن الذين ذهبوا إلى أولئك من الواقع العملي أن يرجع إليهم السحر بعد مدة، وهذا الغالب؛ لأن هذا الذي ضعف وأتى إليهم معنى ذلك أن لديه الاستعداد إلى أن يعود مرة أخرى إذا شفي من مرض فيسحر بسحر آخر ليأتي إليه من غير السحر الذي سحر به أولاً، فيستمر يطرق الباب على هؤلاء السحرة لأن لديه الاستعداد الكامل لتقبل ما يقول هؤلاء .

**ب/ حكم النشرة بمعنى حل السحر بالرقية الشرعية وبالتعويذات وبالدعاء وبالأدوية المباحة** وهي النوع الثاني فهذه جائزة ولا إشكال فيها،

والنبي ✕ رقاه جبريل عليه السلام لما سحر ورقى غيره، ونزل القرآن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ بأن يرقي النبي ✕ نفسه، وكذلك في الأدوية المباحة التي ظهرت في التجارب، كما جاء عن بعض التابعين رحمهم أنهم يرون الاغتسال بالماء والسدر فمن مزاياه أن الشياطين تنفر منه، وكذا لو عرف مثل ذلك، كما يثبت في الطب من خلال التجارب أن هذا الدواء بإذن الله يعالج هذا الداء.

ويجب أن نعلم أن القرآن كله شفاء كما قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَاراً**﴾ [94] وقوله سبحانه : ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ**﴾ [95] .

**فالقرآن يفك السحر إن طال الزمن أ وقصر لكن لنعلم أمرين:**

**الأمر الأول** : قوة الراقي بالقرآن فيعتقد الراقي أن الشفاء بالقرآن، ولا يقل: أُجرِّب، فالقضايا والحقائق القرآنية غير قابلة للتجربة .

**الأمر الثاني**: المريض المسحور أو غير المسحور يجب أن يعتقد أن القرآن شفاء ، لا يقل: ذهبت إلى البلد الفلاني ولم أستفد، وذهبت إلى المستشفى الفلاني ولم أستفد ، فإذاً (أجرب القرآن) فالقرآن ليس ميداناً للتجربة، فيجب أن يتلقاها المريض بكل يقين لأن فيه الشفاء ، فالشفاء قد يكون في يوم أو شهر أو سنة أو قد يطول فعليه بالمواصلة والدعاء.

فإن استجيب لـه شفي، وهو في أي الأحوال إما أن يعجل لـه وإما أن يؤخر فيراه مستقبلاً ، وإما أن ينفك عنه من الشر ما كان مقدراً عليه، وإما أن يراه من الآخرة، وهذا لا إشكال فيه، إذا صدق الإنسان في دعائه وعمل بالأسباب المفضية إلى قبول الدعاء وتجنب الموانع فدعاؤه متحقق بلا شك كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[96].

وكمـا تكون الرقية الشرعية بالقرآن تكون أيضاً بما ورد عن النبي ﷺ من الأدعية مثل : (**اللـهم رب الناس ، مذهب البأس، اشف لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً**) [97] .

و(**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء**

---

[94] () **سورة الإسراء ، الآية (82).**

[95] () **سورة فصلت، الآية (44).**

[96] () **سورة غافر، الآية (60) .**

[97] () **رواه البخاري في كتاب : الطب ، باب : رقية النبي ✕ ، برقم (5410) ، ورواه مسلم في كتاب السلام، باب : استحباب رقية المريض، برقم (2191).**

**وهو السميع العليم)** [98] ثلاث مرات في الصباح والمساء، وغير ذلك في الأدعية التي وردت في السنة، وهي موجودة ومنتشرة - ولله الحمد - في كتب الأذكار مثل كتاب الأذكار للنووي والكلم الطيب لابن القيم الجوزية - رحمهم الله جميعاً -، وكذلك تكون في عامة الأدعية ما لم تكن حراماً بمعنى لا يكون فيها توسل للشياطين ولا بالقبور والأضرحة، فتكون خالصة لله عز وجل .

**الوقفة الثالثة :**

يعتقد بعض الناس أن الأمراض وخاصة السحر والعين لا يمكن أن تحل إلا بالرقية الشرعية ، وهذا لا إشكال فيه، ولكن أيضاً قد يُوجد في زمن ما لم يكن في زمن آخر، فلا يعني أننا إذا استعملنا الرقية الشرعية لمرض من الأمراض لا نذهب للطبيب الذي يداوي بالدواء الحسي، كما ثبت عند التابعين الدواء بالسدر والاغتسال به ، فمع الزمن توجد بعض الأشياء بالتجارب العلمية والعملية، ومن ذلك ما يسمى بالطب النفسي فلا مانع من الذهاب للطبيب النفسي لعلاج بعض الظواهر المرضية عند من يوثق به، كما أنه يذهب إلى الطبيب الموثوق به في علاج الباطنية وغيرها، وقد يشفى هذا الإنسان بسبب هذا الطبيب وقد لا يشفى كغيره من الأمراض .

ومن المعلوم أن الرقية الشرعية تعالج أصل الداء، فهي تعالج أصل السحر والعين، أما الطبيب النفسي فلا يعالج إلا الظاهر . فالأمران متكاملان وليسا متعارضين ولا يمنع أن يستفاد من ذلك كله، ولكن بالضوابط الشرعية العامة ، فلا يُذهب إلى كل مدعي الطب ولا لمن ثبت فشله بل لمن استقام دينه وعرف بعلميته الطبية وأمانته وورعه.

كما يجب الحذر ممن يجعلون الرقية شعاراً لهم وهم يستعملون الشعوذة والدجل ، فعلى المريض أو ولي المريض أن يتنبه لهذا الراقي، ولذلك يجب أن يكون هذا الراقي قارئاً للقرآن غير لاحن فيه، وأن يكون صادقاً أميناً معروفاً بالاستقامة ، وإن كان طالب علم فهو أولى، فكما أن الطب أصبح مجالاً للتكسب فكذلك أيضاً الرقية أصبحت مجالاً لهذا الأمر .

ومع هذا كله فليعلم العبد أن هذه كلها أسباب لا تغني عن ضرورة التوكل على الله عز وجل، فهو الذي بيده مقاليد كل شيء، سبحانه وتعالى من حكيم خبير .

---

**[98] () سبق تخريجه في الباب (12).**

## 27- بابُ ما جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: "أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ" [**الأعراف:**131]

وقوله: "قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ " [يس: 19].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ✕ قَالَ: «لاعَدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ولا هَامَةَ، ولا صَفَرَ»[99] أَخْرَجَاهُ. زَادَ مُسْلِمٌ: «ولا نَوْءَ ولا غُولَ»[100].

ولَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕ : «لا عَدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ويُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: ومَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[101].

ولأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ✕ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، ولا تَرُدُّ مُسْلِماً، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللهُمَّ لا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ»[102].

وعن ابنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ومَا مِنَّا إِلاَّ، ولَكِنَّ اللهُ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[103] رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ وصَحَّحَهُ، وجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابنِ مَسْعُودٍ[104].

ولأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ لا خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ، ولا

---

[99] () **أخرجه البخاري (رقم 5707) ومسلم (رقم 2220/102).**

[100] () **أخرجه مسلم (رقم 2222/109).**

[101] () **أخرجه البخاري (رقم 5776) ومسلم (رقم 2224).**

[102] () **أخرجه أبو داود (رقم 3919) وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم 293) والبيهقي في الكبرى (8/139).**

[103] () **أخرجه أبو داود (رقم 3910) الترمذي (رقم 1614) وابن ماجه (رقم 3538) قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.**

[104] () **قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (3/152): وقيل: إن قوله: «وما منا إلا» من قول ابن مسعود أدرجه في الحديث، وإنما جعل الطيرة من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك. وقوله: «ولكن الله يذهبه بالتوكل» معناه: أنه إذا خطر له عارض التطير، فتوكل على الله وسلم إليه، ولم يعمل بذلك الخاطر غفر الله له، ولم يؤاخذه به.**

**ولكن الألباني رحمه الله اختار في السلسلة الصحيحة (1/791- 792 رقم 429) عدم الإدراج فقال: قلت: يعني أن هذا القدر من الحديث مدرج ليس مرفوعاً، وكأنه لهذا لم يورده السيوطي بتمامه، وإنما أورد الجملة= =الأولى منه، اعتماداً على كلام ابن حرب. قال الشارح المناوي: لكن تعقبه ابن القطان بأن كل كلام مسوق في سياق لا يقبل دعوى درجه إلا بحجة. قلت: ولا حجة هنا في الإدراج، فالحديث صحيح بكامله.**

طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ، ولا إِلَهَ غَيْرُكَ»[105]. ولَهُ مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»[106].

**الوقفة الأولى :**

**شرح مفردات الباب:**

(التطير) : الطيرة بكسر الطاء . وهو التشاؤم بالطير .

(هامة): طير من طيور الليل وتسمى البومة.

(صفر): هو أحد أشهر السنة، وكان العرب يتشآمون منه.

(نوء): مفرد (أنواء) وهي منازل القمر.

(غول): هو جنس من الجن والشياطين.

(حول): الانتقال من حال إلى حال.

(قوة) : القدرة على الشيء.

**الوقفة الثانية:**

علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد هي لبيان أن التطير يقدح في توحيد

---

**[105]() أخرجه أحمد (2/220) وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم 292)، قال الهيثمي في المجمع (5/108): رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (3/53- 54 رقم 1065).**

**[106]() أخرجه أحمد (1/213) وفيه انقطاع، فإن مسلمة الجهني لم يسمع من الفضل.**

العبد لله عز وجل ، فإذا علمنا أن الذي يقدّر الأمور كلها هو الله عز وجل ، دلّ على أنه لا طير البوم ولا غيره لـه علاقة بالأمور الغيبية مستقبلاً، وإنما الأمر كله لله سبحانه وتعالى ، فالذي يقع في هذا التطير كما سيأتي يخل بتوحيده لله عز وجل إما إخلالاً كلياً وإما إخلالاً جزئياً بحسب هذا التطير .

**الوقفة الثالثة :**

قال المصنف - رحمه الله - وقوله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:131] .

فلما تطيروا هذا التطير جاءهم بسبب الكفر والتكذيب بآيات الله وبرسله وبالذات عن هذا القول بموسى عليه السلام ﴿**أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ**﴾ ، فالله سبحانه وتعالى ذكر اللفظ بناءً على ما كانوا يفعلونه، وإلا فالمعنى ما قضاه الله وقدره عليهم، وما وقع عليهم مما جعلوه تطيراً هو بقدر الله سبحانه وتعالى وبقضائه جل وعلا ، ولكن هؤلاء قوم جاهلون لا يعلمون كما ذكرهم الله سبحانه وتعالى .

**الوقفة الرابعة:**

وقوله تعالى : ﴿**قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ [يس:19] هذا تقريب من الله سبحانه وتعالى، ﴿**طَائِرُكُمْ**﴾ بمعنى حظكم، وما نابكم من الشر، ﴿ **مَعَكُمْ**﴾: يعني: أفعالكم وكفركم، ﴿ **أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾ : يعني قلتم إنا تطيرنا بكم ﴿ **بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾: يعني عادتكم الإسراف في العصيان ومنه جاءكم التشاؤم عقيدة لكم من الله سبحانه وتعالى، وهذا إقرار من الله سبحانه وتعالى وبيان لهم بأن ما جاءهم من التطير والتشاؤم بسبب أنفسهم بما فعلوه من الفسق والخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى .

**الوقفة الخامسة :**

مر بنا أن معنى التطير جاء بسبب أهل الجاهلية لتشاؤمهم من الطير فاصطلح لـه هذا المسمى .

هل هذا الأمر ينتقل إلى وصف الأفعال الأخرى التي قد تكون لـه علاقة بالطير مثل مواقف معينة أو استشهادات في هذا الباب ؟

قضية الطير هذه مجرد مثال على ما كان يفعله أهل الجاهلية، وإلا فالخرافات التي تعج بها الجاهلية لا حد لها فهي كثيرة جداً، وهذا المثال يمكن تطبيقه على سائر الأمور مثل أن يتطير الإنسان بسيارة مثلاً أوجو من الأجواء، كأن يكون هناك مطر، أو غبار، أو هواء وهكذا، فلا يفعل هذا الفعل الذي يريد أن يفعله ، فيرده هذا الأمر تطيراً وتشاؤماً بأنه سيقع مكيدة ومصيبة لو عمل هذا العمل، فأهل الجاهلية كانوا يتطيرون بطائر

البوم والأيام والأشهر مثل شهر صفر، ويتطيرون بما يسمونه بالغول كما سيأتي وهو نوع من الشياطين، ويتطيرون بالنجوم يقولون: أنت نجمك سعيد وأنت نجمك شقي وهكذا.

**الوقفة السادسة:**

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)** أخرجاه زاد مسلم **(ولا نوء ولا غول)** هذا الحديث في غاية الأهمية في تثبيت المسلم على عقيدة التوحيد والكلام عنه بعد هذه الألفاظ يتبين لنا كيف أن هذا الحديث الوجيز كان جامعاً لفوائد عظيمة جداً في تثبيت عقيدة المسلم .

**وهناك إشكال وهو:**

**قد يقول قائل** : يقول النبي ﷺ (لا عدوى) ونحن نجد في الواقع المحسوس أن كثيراً من الأمراض تنتقل من شخص إلى آخر عن طريق الحشرات مثلاً كالذباب أو البعوض ونحو ذلك أو الفيروسات الموجودة في الهواء؟

نعم هذا يقع بلا شك وهو واقع محسوس، ولذلك أيضاً قال النبي ﷺ : **(وفر من المجذوم فرارك من الأسد)** [107] يعني هل هذا تناقض في توجيهات النبي ﷺ؟ **الجواب: لا** ، ولكن العدوى بذاتها لا تضر، إنما إذا قدر الله سبحانه وتعالى أن المرض ينتقل، وقد تجد البيت الواحد يكون فيه عشرة أشخاص ويمرض واحد وينتقل هذا المرض إلى اثنين أو ثلاثة لكن البقية لا ينتقل المرض إليهم لماذا؟ هذا يعلمنا أن هذا الانتقال بقدر الله سبحانه وتعالى، وإلا فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد هذا المرض وهو الذي جعل من طبيعة هذا المرض أن ينتقل، وفي الوقت نفسه هذا الانتقال إذا شاء الله جل وعلا أن ينتقل إلى شخص دون آخر فهو كما قدره الله سبحانه وتعالى.

وفي قصة عمر بن الخطاب ﷺ حينما أراد أن يذهب إلى الشام فذكر أن فيها الطاعون، فاستشار بعض من معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فأشاروا عليه ألا ندخل هذه البلدة التي فيها الطاعون، فقرر عمر ﷺ الرجوع وعدم دخول الشام، فجاءه أبو عبيدة بن الجراح ﷺ فقال لأمير المؤمنين ﷺ: أفراراً من قدر الله؟ يحتج على أمير المؤمنين ﷺ بأنه يفر من قدر الله؟ قال عمر ﷺ: (نفر من قدر الله إلى قدر الله) فالذي قدر وجود هذا الطاعون هو الذي أمرنا ألا ندخل في بلدة فيها هذا الطاعون، وفي الوقت نفسه لو جاء شخص يريد أن يفر من هذه البلدة التي وجد فيها

---

**[107]() رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم ، باب الطب باب الجذام برقم :(57070) .**

الطاعون نقول لـه : لا تفر إن وجدت في هذا المكان الذي فيه الوباء، ولئلا تدخل بلدة فتنقل العدوى وهنا تجمع بين قولـه (لا عدوى) وقوله (وفر من المجزوم فرارك من الأسد) .

**الوقفة السابعة :**

يتلخص مما سبق بيان المنهج الذي يتعامل به المسلم مع هذه الأشياء مما يعرض له ومنه:

**الأمر الأول**: أن الأصل التوكل على الله في جميع الأمور، فأنت في هذه الدنيا لا تسير نفسك ولا تقدر لنفسك ما شئت وإنما الأمور تتم بقدر الله سبحانه وتعالى فعليك أن تتوكل على الله سبحانه وتعالى في كل شيء، ولذلك علمنا الله عز وجل هذا المعنى بما نقرأه في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [108] .

**الأمر الثاني**: وهو ينبني على الأمر الأول ، معرفة أن الأمور بيد الله صغيرها وكبيرها حتى النملة السوداء التي تدب على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء يعلم ربنا جل وعلا مسارها ، كما يعلم ما يجري في أعماق البحار في الليالي الشديدة السوداء ، فالله سبحانه وتعالى بيده الأمور كلها، وهو الذي يحيط بها علماً، فينبني على التوكل على الله سبحانه وتعالى معرفة أن المقادير كلها بيد الله سبحانه وتعالى .

**الأمر الثالث** : أن سلوك المسلم في حياته كلها يجب أن يكون وفق شرع الله وتعاليمه، فيسافر في أي وقت متى تهيأت أسباب السفر، ويتزوج إذا تيسرت أسباب الزواج وغيرها من الأعمال من دون تشاؤم أو تعلق بالآخرين ونحو ذلك.

**الأمر الرابع**: أنه لا مانع من عمل الأسباب كما قال ✕ (اعقلها وتوكل) [109] ولابد من عمل الأسباب.

**الأمر الخامس**: أنه إذا قدر خلاف ما عمل الإنسان يطمئن لأنه عمل ما يستطيع وما عليه، والنتائج بيد الله سبحانه وتعالى، فيعلم العبد أن مقاديره لحكم يعلمها سبحانه .

**الوقفة الثامنة :**

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ✕ : (**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا** وما الفأل ؟ قال**: الكلمة الطيبة**) .

هذه زيادة في معالم منهج المسلم في التعامل مع الأشياء، ومنها

---

**[108] () سورة الفاتحة ، الآية (4).**

**[109] () رواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (2441 ✕)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (2517) .**

الأمور التي أشرنا إليها من قبل، فعرفنا معنى (**لا عدوى ولا طيرة**) ثم قال النبي ﷺ في هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: (ويعجبني الفأل) والفأل فسره النبي ﷺ بالكلمة الطيب، وهذا من باب التمثيل، فمثلاً لو كان شخص مريضاً ودخل عليه آخر يزوره فقال لـه: طهور إن شاء الله ، فالمريض هنا يستبشر وتنفتح لـه الآمال؛ لأن مستقبله الطهارة والسلامة بإذن الله عز وجل، ولذلك أُمِر الزائر والعائد للمريض أن يأتي بالكلام الطيب مثل: طهور إن شاء الله، فيتفاءل الإنسان بما يحدث لـه ، وهذا أمر في غاية الأهمية، ولذلك جاء في الحديث القدسي (**أنا عند حسن ظن عبدي بي**) [110] ويحسن التفاؤل وحُسن الظن بالله عز وجل في أوقات الشدائد كعند الموت، فعلى المسلم الذي يُحتَضَر أو من عنده أن يفتح لـه الآفاق والاستبشار وحسن الظن بالله جل وعلا وحينئذ يكون كذلك بإذن الله. فإذا ظن العبد بربه خيراً بأنه سيغفر لـه وبأنه سيدخله الجنة كان كذلك بإذن الله عز وجل .

فكذلك هنا في الأمور الدنيوية (يعجبني الفأل) نذكر عدة أمثلة لشرائح الناس؛ مثلاً يخرج الطالب من الامتحان فتسأله: كيف أديت الاختبار؟ قال: سيء مثلاً، فهذا يتشائم لكن آخر يقول: الحمد لله عملنا السبب وأرجوا أن يكون خيراً، فهذا يكون خيراً بإذن الله عز وجل، ولأن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، مثال آخر: يبحث الإنسان عن وظيفة أو طلب رزق أو عيش فيذهب إلى المؤسسة الفلانية والمؤسسة الفلانية فيقول لـه: كيف معاملتك؟ فيقول: يظهر أنه ما فيه قبول فكأنه حكم على مستقبله، هذا تشاؤم، لكن شخصاً آخر يقول: إن شاء الله سيكون الأمر أفضل مما توقعت، هذا تفاؤل.

فالأول الذي تشاءم وقال: أنه قد لا يُقبل هذا فسيعيش في قلق، لكن الآخر سيعيش في راحة وطمأنينة لأنه ينظر إلى مستقبل مشرق، وهكذا حتى ولو لم يتم لـه هذا الأمر فسيتم لـه الأمر الثاني أو الثالث، لكن ذلك اليائس والمتشائم سيحبط ولا يمكن أن يمشي في المعاملة الثانية إلا بتثاقل. وإذا أخذنا هذا الأمر من منظار آخر بأنه ابتلاء من الله ، يزيد من الحسنات ويكفر السيئات نستزيد من الراحة والطمأنينة ولا يكون وبالاً على المسلم .

**الوقفة التاسعة:**

بيّن حديث عقبة بن عامر ﷺ أن الطيرة ذُكرت عند رسول الله ﷺ

---

**[110]() رواه البخاري بلفظ "عند ظن عبدي بي" في كتاب: التوحيد باب قولـه تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ (6856)، ومسلم بنفس اللفظ في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله (4832) ولفظ "أنا عند حسن ظن عبدي بي" .**

فقال: (**أحسنها الفأل ولا ترد مسلما**) هذه جملة مهمة عظيمة، أن الإنسان قد تغلب نظرته في بعض الأشياء فتطير مثلاً من شخص دخل عليه أو من كلمة سمعها وكان يريد أن يسافر، فهنا إما أن يقرر المعنى في قرارة نفسه بأن يسافر ولا يهمه ما وقع في نفسه من التطير، أو لا يسافر بناءً على تطيره، فالطيرة الممنوعة هنا التي ترده عن مشروعه الذي يريد القيام به ، فقال النبي ﷺ : (**ولا ترد مسلماً**) لكن قد يقع في النفس ما يقع بإرادة أو بغير إرادة فيكفر ما يقع فيقول: (**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك**) فإذا وقع ما وقع في النفس من التشاؤم من النظرة السوداوية كما يقال للمستقبل يقول هذا الدعاء فيسند الأمر إلى الله سبحانه وتعالى ، ومضمون هذا الدعاء أن الجالب للخير والدافع للشر هو الله سبحانه وتعالى والحول والقوة بيد الله سبحانه وتعالى، وحينئذ يمضي في أمره ومشروعه ولا يرده هذا التطير الذي وقع في قلبه، لذلك ينبغي أن يرتبط بالله سبحانه وتعالى .

فقال النبي ﷺ : (**أحسنها الفأل**): يعني النظرة للمستقبل يجب أن تكون نظرة حسنة مستبشرة بفرج ونصر وصباح جميل وهكذا.

ولكن قد يقع في نفس الإنسان أحياناً ما يقع من التشاؤم لبعض الأمور؛ كأن تبدو علامات خسارة مالية أو فحوصات طبية على غير المتوقع فيقع في نفسه ما يقع من المستقبل المظلم في هذا الشأن فبين الرسول ﷺ الفرق بين هذا الذي وقع هو محل الذم أو لا ، فإن كان الذي وقع في النفس رَدَّ الإنسان عن عمل يجب أن يقوم فيه أو رده عن مشروع خير أو طاعة فهذه هي الطيرة الشركية، أما إذا وقع في نفسه ما وقع فقط فهذا الخاطر يقع عند كثير من الناس، ولهذا قال النبي ﷺ إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل الدعاء المذكور . وليست الأمور دائماً على ظاهرها ، فأحياناً يقع المتخوف منه، فيقع موت المريض أو تقع الخسارة المالية، أو تقع مصيبة كبيرة من مرض أو حادث أو نحو ذلك.

لكن هذا ليس شراً على إطلاقه؟ هنا محل التقييد بأن ليس كل ما ظاهره شر أن يكون شراً، بل قد يكون هو الخير لهذا الإنسان الذي وقع له مما ظاهره شر، وإلا لكانت الحياة كلها مصائب لأن الإنسان خلق في كبد كما أخبر الله سبحانه وتعالى، لكن هذه المصائب تتقلب إلى منح جلية عظيمة قد تكون في الدنيا وقد تكون في الآخرة أو فيهما جميعاً كما وعد الله سبحانه وتعالى لمن تعامل معها بالمعاملة الشرعية المناسبة ، فإذا وقع في النفس ما وقع يقول هذا الدعاء ويسند الأمور إلى الله سبحانه وتعالى : (**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت**) يعني : أي الحسن والطيب إلا أنت، (**ولا**

**يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك)** ومعنى قولـه : **(لا حول ولا قوة إلا بك)** أي إلا بالله سبحانه وتعالى، ومعنى هذا يتضمن أنه لا حول لي ولا قوة ولا أستطيع دفع الشيء الذي ظاهره شر أو جلب الذي ظاهره خير وإنما هذا مرتبط بك يا ربي، فيطلب الخير من الله سبحانه وتعالى، ولعظم هذه الكلمة كانت كنزاً من كنوز الجنة كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح **(لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)** [111] وهي تسهل العسير وتفرج الكروب وتطمئن النفس في حال توقع المكروه الذي يحصل لهذا الإنسان، فيفرج الله سبحانه وتعالى لـه ويقع لـه من الخير ما لم يتوقعه ، فهذا الذي يقع في النفس يرجى أن الله سبحانه وتعالى يعفو عنه.

**الوقفة العاشرة :**

عن ابن مسعود مرفوعاً **(الطيرة شرك، ولكن الله يذهبه بالتوكل)** رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخر من كلام ابن مسعود ﷺ .

هذا الحديث فيه بيان الحكم الطيرة، وأن هذه الطيرة قد تقع في النفس، وفيه بيان علاج ما يقع.

**المسألة الأولى**: حكم الطيرة: وحكم الطيرة إما أن ترد إنساناً عن عمله أو لا، فإذا ردت الإنسان عن عمل فهي شرك بالله عز وجل، فمثلاً لو تشاءم الإنسان بطير كما كان أهل الجاهلية يتشاؤمون بطير البوم، أو تشاءم بركوب سيارة معينة ، أو دخل على موظف لمراجعة في الصباح فنظر إليه ووجده عابساً فتشاءم ، فإن كان هذا التشاؤم الذي حصل لهذا الإنسان رده عن عمله فهذا شرك بالله سبحانه وتعالى، لماذا؟ لأن معنى هذا أنه جعل هذا الأمر إلهاً من دون الله وجعل لـه قدراً كما لله سبحانه وتعالى ، فهذا شرك بالله سبحانه وتعالى .

أما إذا لم يغير الإنسان من حاله، ولم يغير قراره بناءً على ما وقع من هذا التطير ، فهذا مما يقع في النفس ولا شيء فيه.

**المسألة الثانية**: فقوله: **(فما منا إلا)** هذا فيه بيان أن الخواطر التشاؤمية تمر على النفوس ، مثل أن يدخل الإنسان على قريب لـه مريض مثلاً، فينظر إليه وهو يتوجع ويتألم فيقع في نفسه أن هذه نهايته وأن الموت حلّ به، وأنه مسكين، ويود لو عاش وهكذا، وهذه قد تقع في النفوس، أو يدخل الإنسان في معاملة تجارية ثم يرى فلاناً من الناس فيتطير به ، فيقع في النفس أن الخسارة واقعة، وهذا يقع عند بعض الناس بإرادة أو بغير إرادة، لكن هذا الخاطر الذي يمر على الإنسان لـه علاج ، وهذا العلاج هو الأمر الثالث الذي ذكر في الحديث **(ولكن الله يذهبه بالتوكل)** كيف ذلك؟

---

[111] () **رواه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: الدعاء إذا علا عقبة برقم : (5905).**

عندما يسترجع الإنسان ويتذكر أن الأمور بيد الله سبحانه وتعالى، ويتذكر أن ما من ذرة في هذا الكون لا يستطيع تصريفها إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع جلب الخير ودفع الشر إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع شفاء المريض ، وإسقام الصحيح، وإفقار الغني ، وغنى الفقير إلا الله سبحانه وتعالى، فإذا رجع الإنسان إلى هذه المعاني عظم توكله بالله عز وجل واعتماده عليه واستعانته به ، واستقامته به جل وعلا، وذهب منه هذا الخاطر الذي سبب لـه النظرة التشاؤمية لمستقبل هذا المصاب، فلذلك يجب أن ينمي الإنسان في نفسه معنى التوكل على الله سبحانه وتعالى، وأن يعمل بالأسباب المعينة على هذا التوكل ليدفع به هذه الشركيات وليزيد من معنى التوكل، وهو بلا شك من لُب الإيمان ويزيد الإيمان، وهو من أجلّ الأعمال القلبية التي يجب على المسلم أن يمكنها من علمه لكي يعظم أمر الله سبحانه وتعالى، ومن ثم تذهب عنه هذه الوساوس والخواطر والهواجس والشكوك ، والنظرة السوداوية لأقدار الله سبحانه وتعالى، والآيات أكثر من أن تحصر في الأمر بالتوكل والأمر بالاستعانة - بالله عز وجل ، ويكفي أننا نقرأ في كل ركعة من ركعات صلاتنا وجوباً علينا ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [112] .

والتوكل على الله سلاح فعال وقوي ، يدفع الإنسان إلى أعمال عظيمة لو تأمل الإنسان حاله فيها لاستغرب كيف أن هذا الإنسان اندفع بهذا الاندفاع القوي وأنتج هذا النتاج القوي، لولا أن الله سبحانه وتعالى طمأن قلبه بعظم توكله عليه.

**الوقفة الحادية عشرة:**

روى الإمام أحمد من حديث ابن عمرو ﷺ (**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك**) وكذلك حديث الفضل بن عباس : (**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**).

هذا فيه تقرير للمعنى السابق الذي ذُكر، وهو أن الطيرة المذمومة هي الطيرة الشركية: هي التي ترد الإنسان عن حاجته، وقد سبق المثال بأنه يريد أن يقدم أوراقه للوظيفة فرأى شخصاً اسمه مثلاً غير مناسب فيتشاءم بهذا الاسم ، أو يريد أن يسافر ولما خرج من البيت وجد أن السيارة فيها عطل فتشائم، فإذا هذه الأشياء وأمثالها ردت الإنسان عن حاجته فهذه طيرة

---

[112] () **سورة الفاتحة ، الآية (5).**

مذمومة وشركية وذلك أنه جعل هذا الشخص الذي تشاءم به أو تلك الحادثة التي وقعت لـه كأنه جعلها إلهاً مع الله سبحانه وتعالى ، تؤثر عليه في مسيرة حياته، ومن الطيرة أن بعض الناس قد يرى في منامه بعض الأحلام المفزعة ويرى أموراً يستوحش منها فترده هذه الأشياء عن قضاء حاجته، وهذا أيضاً من الطيرة المذمومة ، فلذلك ما رده عن حاجته هو شرك بالله سبحانه وتعالى وطيرة شركية، وعليه أن يكفرها بما قاله عليه الصلاة والسلام: (**اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك**) فكأنه عاد ورجع إلى الله سبحانه وتعالى فالخير لا يجلبه إلا الله سبحانه وتعالى والشر لا يدفعه إلا الله سبحانه وتعالى، والمعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى فلا إله إلا الله (ولا إله غيرك) فرجع إلى الله سبحانه وتعالى، فهذه تكفر عنه ما يجد في نفسه من التطير، وكذا ما عمله من تلقاء هذا التطير.

## 28- بَابُ ما جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاَثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ ورُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وعَلاَمَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا. فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ وأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وتَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ »[113]. انتهى

وكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ، ولَمْ يُرَخِّص ابنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا، ورَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وإِسْحَاقُ.

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕ : «ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وقَاطِعُ الرَّحِمِ، ومُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»[114]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

---

**[113] () أخرجه البخاري معلقاً في كتاب بدء الخلق، باب في النجوم .**

**[114] () أخرجه الإمام أحمد (4/399) وابن حبان كما في الموارد (رقم 1380، 1381) والحاكم (4/146) وصححه ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (2/289 رقم 678).**

**الوقفة الأولى :**

(التنجيم): مصدر نجّم بتشديد الجيم أي تعلم علم النجوم أو اعتقاد تأثير النجوم على الإنسان والحياة.

**الوقفة الثانية :**

**ما حكم تعلم علم التنجيم؟**

ينقسم إلى قسمين:

**1 - علم التأثير :** وله ثلاثة أقسام :

أ - أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة تخلق الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر لأنه جعلها خالقاً مع الله.

ب - أن يجعلها سبباً يدعي به علم الغيب، وهذا اتخذ النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، وادعاء علم الغيب كفر أكبر.

ج - أن يعتقد أنها سبب لحدوث الخير والشر، فإذا وقع شيء نسبه إلى النجوم، وهذا شرك أصغر، مثلاً ولد مولود أو مات أحد جعل سببه أحد هذه النجوم، فهو على حسب نيته كما سبق تفصيله.

**2 – علم التسيير** : وله قسمان:

أ - أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية، فهذا مطلوب بل قد يكون واجباً كمعرفة جهة القبلة وغير ذلك.

ب - أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية وله نوعان:

1 - أن يستدل بها على الجهات كالشمال وغيره فهذا جائز لقوله تعالى: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [115] .

2 - أن يستدل بها على الفصول وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر

---

[115] () **سورة النحل ، (16) .**

وهذا فيه خلاف دائر بين الكراهة والإباحة ساقه المصنف - رحمه الله -، وسبب الكراهة خشية أن ينسب البرد وغيره للنجم الفلاني، والصحيح إن شاء الله الجواز إذا اتقي مثل هذا المعنى .

**الوقفة الرابعة:**

أورد المصنف في هذا قول قتادة - رحمه الله - **بأن للنجوم ثلاث فوائد** :

1 - زينة للسماء قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**﴾ [116] .

2 - رجوم للشياطين كما قال تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ**﴾[117] .

3 - علامات يهتدى بها كما قال تعالى:﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[118]. فهي علامات يستدل بها على الجهات، ويستدل بها على معرفة الفصول الأربعة.

**الوقفة الخامسة :**

تحتوي على عدة نقاط وهي:

1 - المسلم قوي الإيمان بالله لا يلتفت إلى ما يقوله مدعي الغيب وإن اختلفت أسماؤهم أو تغيرت أشكالهم، فالمنجم وغيره ممن يدعي الغيب يجب أن لا يلتفت المسلم إليه لأنه يعلم علم اليقين أنه لا عالم للغيب إلا الله ﴿**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ**﴾ [119] .

2 - من حكمة الله - عز وجل - في مخلوقاته أن جعل هناك أسباباً، وهذه الأسباب تربط بمسبباتها مثال ذلك : وقت البذور لزروع معينة لا تكون إلا في فصل من فصول السنة عندما يظهر نجم معين فإذا علم ذلك وربط السبب بالمسبب جاز من هذا الوجه دون أن يعتقد أن النجم فاعل بنفسه.

3 - الناس في الأحوال الفلكية ككسوف الشمس وخسوف القمر وغيره بين إفراط وتفريط، فهناك من يجعل لها تأثيراً في الحوادث الأرضية وأنها مؤثرة أو سبب في ذلك وهذا إفراط .

ومنهم من إذا عرف وقوع الكسوف قبل حدوثه خف لديه تأثير هذا الكسوف وهذا تفريط ، فإذا علم أن الشمس ستكسف أو سيسقط المطر من

---

**[116] () سورة الملك ، الآية (5) .**
**[117] () سورة الملك ، الآية (5) .**
**[118] () سورة النحل ، الآية(16) .**
**[119] () سورة النحل ، الآية (65).**

خلال التجربة في معرفة المطر مثلاً فهذا لا يعني أنها ليست من آيات الله، بل هي آية من آيات الله، ولو علم من علمها علماً إجمالياً.

**الوقفة السادسة :**

**مع حديث أبي موسى ﷺ :**

**(ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر)**

الشاهد قولـه "ومصدق بالسحر".

مناسبة الحديث للباب أن التنجيم من السحر كما قال ﷺ **(ومن اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر)** .

هذه الأعمال الثلاثة هي من كبائر الذنوب، وصاحبها تحت مشيئة الله إن شاء عذبه في النار على قدر معصيته وإن شاء غفر لـه وأدخله الجنة بفضله ورحمته، ولكن إن عذب في النار لم يخلد فيها، ومن تاب تاب الله عليه فإن الله غفور رحيم .

## 29- بابُ ما جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: "وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ " [الواقعة: 82].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمرِ الجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، والطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، والاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، والنِّيَاحَةُ» وقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ

يَوْمَ القِيَامَةِ وعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[120]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ولَهُمَا عَنْ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ ﷺقَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ✕ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هل تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوكَبِ»[121].

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ وفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وكَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ: چ ئد ى ى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ چ[122] [الواقعة: 75 – 82].

**الوقفة الأولى :**

**شرح مفردات الباب:**

(الاستسقاء) : هو طلب السقيا والغيث .

(الأنواء) جمع نوء وهو النجم، والمقصود به طلب السقيا من النجوم .

قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [123] قال أهل العلم : تجعلون نصيبكم من شكر نعم الله بإنزال المطر فتكذبون بحيث تنسبون النعم إلى غير الله من النجوم والكواكب .

(أربع): ليس للحصر لأن هناك أشياء تشاركها في المعنى.

(الجاهلية) نسبة إلى الجهل والجاهلية إذا أُطلقت بأل تنسب إلى ما كان قبل بعثة النبي ✕، ويوصف بها من فعل شيئاً من أفعالهم كما قال ✕ لأبي ذر : (**إنك امرؤ فيك جاهلية**) [124] .

---

[120] () **أخرجه مسلم (رقم 934).**

[121] () **أخرجه البخاري (رقم 846) ومسلم (رقم 71).**

[122] () **أخرجه مسلم (رقم 73).**

[123] () **سورة الواقعة ، الآية (82).**

[124] () **رواه البخاري في كتاب : الإيمان ، باب: المعاصي من أمر الجاهلية ، برقم (29).**

(الفخر بالأحساب) : أي الفخر بالآباء والأجداد بأفعالهم وأحوالهم .
(الطعن في الأنساب): المراد السب إما بعيب أو تنقيص أو قدح في الأنساب .
(النياحة) هي : رفع الصوت بتعديد محاسن الميت .
(النائحة إذا لم تتب): لأن أكثر ما تصدر النياحة من النساء .
(السربال من القطران): هو الثوب من النحاس المذاب .
(الدرع): هو الثوب المنسوج من الحديد .
(الجرب): مرض جلدي معروف يظهر على الإبل خاصة .
(صلى لنا) : أي صلى بنا .
(بمواقع النجوم): أي مطالعها .

**الوقفة الثانية :**

بعد أن بين المصنف - رحمه الله - في الباب السابق ما يتعلق بالتنجيم من ادعاء علم الغيب وعرفنا ما يتعلق بذلك من أنه منافٍ للتوحيد، بين المصنف - رحمه الله - أن من طلب السقيا من النجوم من دون الله فقد جانب التوحيد أيضاً على تفصيل سيأتي ذكره إن شاء الله. وبهذا يتبين مناسبة الباب لكتاب التوحيد .

**الوقفة الثالثة :**

ذكر النبي ✕ عدداً من صفات الجاهلية في حديث أبي مالك وهي:

الصفة الأولى: الفخر بالأحساب كما سبق معنا هو التفاخر بالآباء والأجداد، ولاشك أن هذا من عمل الجاهلية، وهذه الصفة موجودة، فالناس حين يضعف ارتباطهم بربهم فإنهم يرتبطون بذكريات الآباء والأجداد، فتصل هذه الذكريات إلى أن تكون محل التفاخر بينهم ، وتجد أحياناً هذا الشخص ليس لـه اعتبار عند الناس لا في فعله ولا في قولـه ولا في سلوكه ولا في تعامله معهم فيتعلق بهذه الأنساب ويفخر ، نعم إذا كان يفخر بفعل أحد آبائه وكان يعمل بهذه الميزة التي اشتهروا بفعلها فلا بأس دون أن تأثر على واجباته الشرعية..

ويقابل هذه الصفة الصفة الثانية وهي: صفة الطعن في الأنساب، فمن المعلوم أن الإنسان لا صناعة لـه في نسبه من حيث وجوده وعدمه، فالإنسان يُخلَقْ وينسب لأبيه وجده، فيأتي شخص ويقدح ويتنقص بهذا الرجل لأجل نسبه، فما الذي فعله حتى يقدح فيه ويسب؟

وعلى مدار التاريخ كم من الذين قيل في أنسابهم ما قيل وكانوا محلاً لفخر هذه الأمة إما بالنصر العام أو العلم الشرعي أو مكارم الأخلاق وغير ذلك مما يفخر به .

الصفة الثالثة : الاستسقاء بالنجوم وهي موضوعنا وسيأتي الكلام فيه .

الصفة الرابعة: النياحة: وهي تدل على الاعتراض على أقدار الله، ومعلوم أن سنة الله في خلقه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [125] و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [126] فالحزن والبكاء على الميت لا بأس به في حدود المعقول، والذي لا يصل الأمر إلى مثل هذه الأفعال، ثم على من وقع في مثل هذا الفعل وزاد عليه الحزن أن يعلم أن حزنه لن يرجع لـه ميته، فعليه بالصبر والتحلي به، فقد مات خير الخلق أجمعين محمد ﷺ .

وهذا الحديث يدل على أن ما ورد فيه من الكبائر لا تخرج من الملة إلا الاستسقاء بالنجوم على التفصيل الآتي:

**الوقفة الرابعة :**

في حديث زيد ذكر القصة التي وقعت في الحديبية، وكانت سنة ست من الهجرة، وكانوا محرمين بالعمرة، فذات يوم نزل في الليلة التي قبلها مطر، فلما صلى الرسول ﷺ ذكر قول الله عز وجل في من شكره بعد هذا المطر ومن كفر به، فمن نسب المطر لله فهو مؤمن به، ومن نسبه للكوكب فهو كافر بالله . والكفر المذكور في الحديث هو الكفر الأصغر .

والواجب على المسلم إذا نزل المطر أن يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته أو يقول: اللهم صيباً نافعاً.

وفي حديث ابن عباس لما نزل المطر نسبه بعضهم إلى رحمة الله ونسبه بعضهم إلى النجم فكأنه جعل النوء هو الذي أنزل المطر أو بسببه نزل ، وهذا شرك أصغر أو أكبر بحسب قصد قائله .

**الوقفة الخامسة :**

**ما حكم الاستسقاء بالنجوم؟ الجواب أن نقول فيه تفصيل.**

1 – إذا اعتقد المسلم بأن النجوم هي التي تسقي ودعاها من دون الله فهذا بلا شك شرك في الألوهية والعبادة .

وإذا اعتقد أن حصول الأمطار والأرزاق يعود إلى هذه النجوم فهي الفاعلة من دون الله فهو شرك في الربوبية . وكلاهما شرك أكبر .

2 – أما إذا اعتقد أن الله هو الذي ينزل المطر ولكن النجوم سبب

---

[125] () **سورة الزمر ، الآية (30).**

[126] () **سورة آل عمران ، الآية (185).**

بذاتها فهذا شرك أصغر قد يؤدي إلى الشرك الأكبر.
فالواجب الابتعاد عن هذا وأن ينسب المطر إلى الله، وأنه هو المقدر وأنه هو الذي إذا شاء أنزل المطر وإذا لم يشأ لم ينزله، وإذا كان مما جرت العادة به كوناً وقدراً مثل: إذا طلع النجم الفلاني فيزرع زرع كذا ونحو هذا، فالمحذور هنا أن لا يعلق الأمر على هذا الشيء ويجعله هو الفاعل وإنما نزول المطر هو سبب في إنبات الزرع فلا يُعلقه على هذا الفعل وإنما يعلقه بالله سبحانه.

*** *** ***

## 30- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: "وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ" **[البقرة:165].**

وقَوْلِهِ: **ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ**

ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ [التوبة:24]

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[127] أَخْرَجَاهُ.

ولَهُمَا عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[128]. وفِي رِوَايةٍ: «لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى» إِلَى آخِرِهِ[129].

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وأَبْغَضَ فِي اللهِ، ووَالَى فِي اللهِ، وعَادَى فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلاَيَةُ اللهِ بِذَلِكَ، ولَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ ـ وإِنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ وصَوْمُهُ ـ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ. وقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئَاً»[130]. رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ.

وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْأَسْبَابُ بِهِمُ وَتَقَطَّعَتْ﴾ [البقرة: 166] قَالَ: المَوَدَّةُ[131].

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(أنداداً) : جمع ند ، وهو الشبيه والنظير .

(يحبونهم كحب الله): أي أن هؤلاء الكفار يحبون الأنداد كمحبة الله، فيجعلونهم شركاء لله في المحبة .

(عشيرتكم) : أقرباؤكم الأدنون.

(اقترفتموها): اكتسبتموها .

(كسادها): عدم رواجها .

**الوقفة الثانية :**

---

**[127] () أخرجه البخاري برقم (15) ومسلم برقم( 44).**

**[128] () أخرجه البخاري برقم( 16) ومسلم برقم( 43).**

**[129] () أخرجه البخاري برقم( 6041).**

**[130] () أخرجه الطبراني في الكبير (12/417 رقم 13537) وابن المبارك في الزهد (رقم 337) وأبو نعيم في الحلية (1/312) عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في المجمع (1/95): رواه الطبراني في الكبير، وفيه ليث بن أبي سليم، والأكثر على ضعفه. وانظر السلسلة الصحيحة (4/306 - 307 رقم 1728).**

**[131] () أخرجه الحاكم (2/272) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.**

**المحبة تنقسم إلى قسمين :**

أ ـ **محبة عبادة**: وهي التي توجب التذلل والتعظيم للمحبوب، ومن ثم ينفذ أوامره ويجتنب نواهيه، وهذا القسم لا يكون إلا لله سبحانه، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة فقد أشرك شركاً أكبراً .

ب ـ **محبة ليست عبادة في ذاتها : وهي أنواع** :

النوع الأول: محبة إشفاق ورحمة ، كمحبة الوالد لولده ، والكبير للصغير .

النوع الثاني: محبة تقدير واحترام، كمحبة الولد لوالده ، والصغير للكبير.

النوع الثالث: محبة مودة ورحمة: كمحبة الزوجين لبعضهما .

النوع الرابع: محبة طبيعية : كمحبة الطعام واللباس والمسكن .

وهذه الأنواع يمكن أن تسمى "محاباً ذاتية" والأصل فيها الإباحة ، ولكن قد تكون طاعة لله سبحانه بالنية الطيبة واحتساب الأجر عند الله ، وقد تكون معصية لله إذا غلا المحب في محبوبه ، بل قد يصل به إلى الشرك إذا ساوى بها محبة الله سبحانه .

**الوقفة الثالثة:**

من الأخطاء التي يقع بها بعض الناس محبة القبر أو صاحبه أكثر من محبة الله أو مثله، إما صراحة بلسانه أو ضمناً بحاله بأن يقدّم لهذا القبر عبادات وقربات لا تقدم إلا لله سبحانه، بل إن بعضهم يقدم لهذا الميت عبادات لا يقدمها لله سبحانه عياذاً بالله، فقد تجد بعضهم يقرب الذبائح والأموال لهذه القبور ويتعلق بها إما رغبة وطلباً منها أو خوفاً من شرها، وهذا خطأ عظيم، فالعبادات لا تصرف إلا لله تبارك وتعالى ، كما قال سبحانه : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [132] .

وجاء في صحيح مسلم قولـه ✕ : **(من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)** [133] .

* ومن الأخطاء في المحبة الغلو في محبة الرسول ✕ وفاعله يخشى عليه من الشرك، إذ أنه ✕ نهى أمته عن الغلو فيه فقال: **(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله)** [134].

لاشك أن محبة النبي ✕ فوق كل محبة سوى محبة الله تعالى وهي من

---

**[132] () سورة البينة ، الآية (5) .**

**[133] () رواه مسلم في باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، برقم (93).**

**[134] () سبق تخريجه في الباب (18).**

أوجب الواجبات، ولكن المحذور أن تصل إلى محبة الله.

*ومن الخطأ جعل مناسبات معينة لذكرى ميلاده عليه الصلاة والسلام أو هجرته أو بعثته أو ليلة إسرائه ، فالعبد مأمور باتباعه عليه الصلاة والسلام الذي هو مقتضى محبته عليه الصلاة والسلام ، ولم يرد عن أصحابه السلف الصالح رضوان الله عليهم فعل شيء من ذلك، فإذا كانوا هم أعلم الناس فليسعنا ما وسعهم، بل إن القرون الثلاثة المفضلة لم يفعلوا ذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[135].

*كذلك من الأخطاء أن بعض الناس يخلط بين المعاملة الحسنة للكافر وبين محبته ومودته المنهي عنها، فيظن أن مقتضى عدم المحبة لـه أن يعامل بجفاء وغلظة، وهذا غير صحيح ويدل عليه قولـه تعالى: ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [136] ، كما أمر سبحانه هارون وموسى بذلك حينما أرسلهما لفرعون بقوله : ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [137] . وزار النبي ✕ يهودياً في مرضه رجاء أن يُسلم .

فهنا يجب أن نعلم أن المحبة القلبية لا تكون إلا للمؤمن ولا تكون للكافر ، أما التعامل الحسن فهذا يكون لعامة الناس حتى الكفار منهم هذا هو الطريق الوسط ، الذي لا إفراط ولا تفريط فيه .

**الوقفة الرابعة :**

أن محبة الله ومحبة رسوله ✕ سبب لحصول حلاوة الإيمان، والإيمان المقصود به الإيمان بالله عز وجل، ويكون بتصديق القلب ، وبالتحدث باللسان، والعمل بالجوارح، ولهذا الإيمان حلاوة في القلب وراحة نفسية تطرد الهموم والغموم ، والقلق والاكتئاب .

**والعنصر الثاني** الذي يجلب الحلاوة الإيمانية أن يحب المسلم أخاه المسلم في الله لأجل صلاحه الديني من كثرة عبادة أو أعمال خيرية قام بها أو علم أو صلة للناس أو خلق رفيع ملك به القلوب ، وهذه المحبة لها ثواب كبير كما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله وذكر منهم **(رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه)** وكذا الرجل الذي ذهب لزيارة أخ لـه في الله فجاء ملك فبشره بالجنة لأجل ذلك .

**العنصر الثالث** هو أن يكره أن يرتد عن الإسلام ويرجع عنه إلى

---

**[135] () رواه البخاري في كتاب : الصلح ، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، برقم (2550)، رواه مسلم في كتاب : الأقضية ، باب : نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم (1718).**

**[136] () سورة النحل ، الآية (125).**

**[137] () سورة طه، الآية (44).**

الكفر مثل كرهه أن يلقى في النار، ومعنى هذا أن يكره الكفر. ولهذا يقول سبحانه : ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ [138] وهنا نكته ذكرها ابن حجر عن أبي محمد بن أبي حمزة أنه قال: "إنما عبر بالحلاوة في هذا الحديث لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قولـه تعالى : ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**﴾ [139] فالكلمة هي كلمة الإخلاص ، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأوامر واجتناب النواهي ، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات ، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها" [140] .

**الوقفة الخامسة :**

**الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده، ومحبة العبد لربه** - كما ذكرها ابن القيم في مدارج السالكين - على النحو التالي:

1 - قراءة القرآن بالتدبر لمعانيه وما أريد به .

2 - التقرب لله تعالى بالنوافل، كما في الحديث القدسي : **(ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)** رواه البخاري [141] .

3 - دوام ذكر الله باللسان والقلب والعمل والحال .

4 - إيثار محابه على المحاب كلها عند غلبة الهوى .

5 - مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

6 - مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .

7 - وهو أعجبها : انكسار القلب بين يدي الله سبحانه وتعالى .

8 - الخلوة بالله وقت النزول الإلهي آخر الليل ، وتلاوة كتابه ، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

9 - مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، ولا يتكلم العبد إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلم أن فيه مزيداً لحاله ومنفعة لغيره .

انتهى كلام ابن القيم - رحمه الله – بشيء من التصرف .

**الوقفة السادسة :**

**من علامات محبة الرسول ✕ ما يأتي:**

---

**[138] () سورة المجادلة ، الآية (22).**

**[139] () سورة إبراهيم ، الآية (24).**

**[140] () فتح الباري بشرح صحيح البخاري 1/60 .**

**[141] () رواه البخاري في كتاب الرقائق ، باب التواضع ، برقم (6137) .**

1 - اتباعه ✕ فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه ، وألا يعبد به إلا بما شرع، والشاهد قولـه تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[142] ولهذا يقول الشاعر :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه — هذا لعمري في الخصال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته — إن المحب لمن يحب مطيع

ولهذا من ادعى محبة الرسول ✕ وهو يخالف أمره فهو كاذب في محبته .

2 – تصديق أخباره عليه الصلاة والسلام .

3 - الصلاة والسلام عليه حين ذكره، بأن يقول: صلى الله عليه وسلم ، ومن الجفاء عدم الصلاة عليه ؛ لأن الله أمرنا بذلك فقال في كتابه : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [143] .

والبخيل هو من ذكر عنده الرسول ✕ ولم يصلِ عليه، كما جاء في الحديث.

4 - نصر سنته عليه الصلاة والسلام والذب عن شريعته بكل ما يملك الإنسان ، من علم أو لسان أو قلم أو مال أو وجاهة ، وتكون هذه النصرة أيضاً بتعليم الدين للجاهل وتذكير الغافل .

5 - الدفاع عن شخصه عليه الصلاة والسلام بكل ما يملك المسلم من وسيلة في ذلك ، ولاسيما في هذا الزمان الذي تطاول فيه بعض المغرضين والطاعنين في الدين.

6 - محبة أصحابه وآل بيته رضوان الله عليهم، إذ هم الذين نشروا سنته، وهم الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى وعدهم في كتابه العزيز ونهى ✕ عن مسبتهم .

---

[142] () **سورة آل عمران ، الآية (31).**

[143] () **سورة الأحزاب ، الآية (56) .**

**31- بـابُ قولِ اللهِ تَعالَى:** "إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾" **[آل عمران:175].**

**وَقَوْلِهِ:** "إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾" **[التوبة:18].**

**وقَوْلِهِ:** "وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ" **الآية [العنكبوت:10].**

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ، وأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، ولا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[144].

وعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، ومَنِ الْتَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»[145] رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

---

[144]() **أخرجه أبو نعيم في الحلية (5/106) (10/41) والبيهقي في شعب الإيمان (1/526 رقم 203).**

[145]() **أخرجه ابن حبان (رقم 1541 - 1542) كما في الموارد والترمذي (رقم 2414).**

**الوقفة الأولى:**

أورد المصنف قول الحق تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [146]في هذا الباب الذي يمكن أن يسمى باب الخوف من الله سبحانه بعد باب المحبة، وسبب هذا الإيراد أن عبادة المسلم ترتكز على أركان من أهمها المحبة لله تبارك وتعالى والخوف منه سبحانه، وهذه الآية تفيد أن الشيطان يخوف أولياءه وأتباعه، ويرهبهم ويوهمهم أنه ذو بأس شديد وذو قدرة فائقة، كل ذلك من الشيطان لأجل أن يخالف هؤلاء أوامر الله سبحانه وتعالى .

**الوقفة الثانية:**

**أنواع الخوف:**

**الأول**: خوف من الله سبحانه وتعالى. خوفَ تأله وتعبد لله سبحانه وتعالى وتقرب إليه فهذا الخوف واجب بل من أعظم الواجبات .

**الثاني**: الخوف المقابل لهذا الخوف وهو الخوف من الأصنام والأوثان والخوف من السحرة والكهان ونحوهم، فيخاف الإنسان من هؤلاء خوفاً حقيقياً بأن يصيبوه بمكروه؛ وإذا وصل إلى هذه الدرجة فهو شرك بالله سبحانه وتعالى شركاً أكبر ينافي أصل التوحيد.

**الثالث**: أن يترك الإنسان ما وجب عليه خوفاً من بعض الناس مثاله: ألا يصلي الآن في المسجد خوفاً من بعض الناس، فهذا لا يجوز إلا إذا غلب على الظن ضرره .

**الرابع**: الخوف الطبعي، كأن يخاف الإنسان من عدو أو يخاف من الظلام ونحوه، فهذا خوف طبيعي يولد مع بعض الناس، وينقلب إلى مذموم وإلى ممدوح بحسب حال الخائف .

**الوقفة الثالثة :**

قال تعالى : ﴿**وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ**﴾ [147] .

هذا فيه بيان أن الخوف من الله والخشية بمعنى واحد، لكن إذا أطلقت الخشية معناه خوف تعظيم لله سبحانه وتعالى .

وأراد أن يبين المصنف أن الخوف والخشية من الله صفة من صفات المهتدين، فكما أن المهتدي يصلي ويؤمن بالله عز وجل ويؤمن باليوم الآخر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة أيضاً لا يخشى إلا الله .

والمقصود (ولم يخش إلا الله) : أي لا يخاف إلا من الله. فالخوف من الله سبحانه وتعالى سبب لهداية الله جل وعلا . والخوف من الله أن يخشى

---

[146] () **سورة آل عمران ، الآية (175) .**

[147] () **سورة التوبة ، الآية (18).**

الإنسان عقاب الله جل وعلا لارتكابه محرماً، أو يخشى ألا يقبل عمله الذي يعمله من العمل الصالح .

**الوقفة الرابعة:**

حديث أبي سعيد ﷺ مرفوعاً : **(إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله...)** الذي أورده المصنف يبين أن من الخلل في إيمان الإنسان أن يتعلق الإنسان بالناس دون الله سبحانه وتعالى، فإذا تعلق الإنسان بالناس صار يرضي الناس وإن جر هذا الرضا إلى سخط الله عز وجل ، وصار يبالغ في الثناء على الناس لأنهم تسببوا في جلب الرزق أو الشفاء ونحو ذلك لهذا الشخص، ومثله في المقابل أن يذم الناس لأنهم لم يساعدوه في جلب هذا الرزق، فهذه العواقب إذا وصلت بالإنسان إلى هذا المستوى فهذا من ضعف الإيمان . وجاء في الأثر: **(إن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره)** [148] فمهما زاد حرص الإنسان ومهما فعل في المقابل الآخر أن يرد الرزق عن هذا الإنسان فإن رزق الله جل وعلا حاصل.

**الوقفة الخامسة :**

حديث عائشة رضي الله عنها الذي أورده المصنف أن رسول الله ﷺ قال: **(من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)**.

هذا الحديث عظيم جداً ويضع للمسلم العاقل الميزان الذي يزن به علاقته بالله جل وعلا وعلاقته بالناس ؟

وهذا الميزان هو رضا الله سبحانه وتعالى بهذا الفعل، فالعبد يقدم على فعل من الأفعال فعليه أن ينظر ما هدفه من هذا ؟ هل هو رضا الله سبحانه وتعالى سواء رضي الناس بذلك أو لم يرضوا أو غير ذلك وبناءً عليه يحرص المسلم على تحرير هذا الهدف في جميع أموره وأعماله .

**الوقفة السادسة :**

هنا سؤال ما الذي يرضي الله تعالى؟ والجواب الواضح أنه ما دل عليه الدليل الشرعي من القرآن الكريم والسنة المطهرة من دون زيادة أو نقصان؟

مثاله أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة وشرعها وأوجب على المسلم خمس صلوات في اليوم والليلة وندب إلى مندوبات في الصلاة، ولكن لو جعل الإنسان ليله ونهاره صلاة أو جعل صلاة الظهر بدلاً من

---

**[148]() رواه أبو نعيم في الحلية (7/146) .**

أربع ركعات جعلها خمس ركعات هل يرضي الله ولو كانت صلاة؟ لا شك أن هذا لا يرضي الله تعالى؛ لأنه خلاف ما شرع، وقس على هذا بقية الأعمال، وبناء عليه يخطئ بعض الناس في هذا الميزان فلا يحرر ما يرضي الله سبحانه وتعالى، وتحرير ما يرضي الله هو ما دل عليه الدليل الشرعي من القرآن ومن السنة.

**الوقفة السابعة :**

إذا تعارض الأمران عند الإنسان - الخوف من الله والخوف من الناس - فلا شك أنه يقدم الخوف من الله تعالى، لكن إذا وصل الأمر لدى العبد إلى أن يمتنع من فعل الخير بسبب الناس فهو قد خاف منهم ولم يخف من الله فوقع في المحظور، وعلاج هذا أن يتذكر هذا الإنسان الخائف من الناس أن مدبر هؤلاء الناس هو الله سبحانه وتعالى الذي يجب أن يخافه، ويقوى هذا المعنى لديه حتى يستقر في نفسه.

**الوقفة الثامنة :**

**من أهم العوامل التي تجلب الرزق وتأتي به :**

**أولاً**: أن يتوكل الإنسان على الله، ولهذا جاء في الحديث الصحيح : **(لو أنكم توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً)** [149] .

**ثانياً**: يعمل الأسباب الشرعية دون أن يتجاوزها إلى رضا الناس بما لا يرضي الله تعالى .

**ثالثاً**: المداومة على الاستغفار، ولهذا قال سبحانه وتعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**﴾ [150] .

**رابعاً**: الإنفاق والصدقة في سبيل الله وجاء في الحديث القدسي : **(قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم أنفق، أنفق عليك)** [151] .

**خامساً**: شكر الله سبحانه وحمده على ما رزق من النعم، ودليله قوله تبارك وتعالى : ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [152] .

---

**[149] () رواه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله ، برقم (2344)، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب: التوكل واليقين، برقم (4164) . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (2344).**

**[150] () سورة نوح ، الآية (10-12).**

**[151] () رواه البخاري في كتاب : النفقات ، باب : فضل النفقة على الأهل، برقم (5037)، رواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، برقم (993).**

**[152] () سورة إبراهيم ، الآية (7) .**

**سادساً**: صلة الرحم ، قال رسول الله ﷺ : **(من أراد أن يبسط لـه في رزقه وينسأ لـه في أثره فليصل رحمه)** [153] .

**سابعاً**: عموم الطاعات: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [154] .

**الوقفة التاسعة :**

**في حديث أبي سعيد ﷺ حقائق مهمة** إذا تعامل معها المسلم في هذه الحياة قادته إلى ساحة النجاة بإذن الله - عز وجل - .

**الحقيقة الأولى**: على الإنسان في هذه الدنيا أن يعمق يقينه بالله عز وجل بمعنى أن يحاول الوصول إلى كمال الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فاليقين درجة عليا من الإيمان بالله جل وعلا، فإذا وصل إلى هذه الدرجة انفتحت لـه خيرات الدنيا والآخرة، ولكن إذا ضعف هذا اليقين بدأت الأمور تختلط عليه، ولذلك يبين لنا الرسول ﷺ أن من ضعف الإيمان وضعف اليقين علامات إذا اتصف الإنسان بإحداها، فهنا دلالة على ضعف يقينه وضعف إيمانه، ومن هذه الصفات وهو محل الشاهد : (إرضاء الناس بسخط الله سبحانه وتعالى ).

والمؤمن في هذه الدنيا مأمور بإرضاء الله سبحانه وتعالى، وإرضاء الله - سبحانه وتعالى - قد يسخط بعض الناس بلا شك، لماذا؟!

لأنه ينظر إلى الأمر العاجل ولا ينظر إلى الأمر الآجل، ينظر إلى الدنيا ولا ينظر إلى الآخرة، فمثلاً في التعامل في الأمور المالية قد يكون الربا أعظم كسباً ظاهرياً من التعامل بالأمور الحلال، فمن السهل على الإنسان أن يضع جملة من أمواله في مصرف ربوي ويجلس دون عمل ويقول لـه البنك لك 10% مثلاً ويتعامل بالربا، ويضمن لـه هذا المصرف ضماناً أن يعطيه في العام القادم هذه النسبة من المال فيظن الإنسان أنه إذا منع من هذا التعامل خسر ماله وكتمت حرية تصرفه، وهذا ليس بصحيح لأن الأمور لا تقاس بلحظتها العاجلة، فإذا كان الله سبحانه وتعالى يمحق الربا ويربي الصدقات مع أن الظاهر أن الربا يزيد المال والصدقة تنقص المال لكن الله سبحانه وتعالى قرر هذه الحقيقة الصادقة التي لا تتخلف، وهي يمحق الله الربا ويربي الصدقات.

ومعنى ذلك: أن المال المتصدق به يزيد، وأن المال الذي يتعامل فيه صاحبه بالربا ينقص وهذا يخالف ظاهر الحال ولذا فهو يحتاج إلى قوة في

---

**[153] () رواه البخاري في كتاب : الأدب ، باب :من بسط له في الرزق بصلة الرحم ، برقم (5527) .**

**[154] () سورة الطلاق ، الآية (2-3) .**

علاقة الإنسان مع ربه عز وجل، فمن ضعف اليقين أن تسخط الله بهذا التعامل وترضي نفسك بهذا الكسب .

والأمثلة على هذا أكثر من أن تحصر في تعامل الناس بعضهم مع بعض في إرضاء غيرهم مع سخط الله عز وجل، فيجب على المسلم أن يكون شعاره رضا الله سبحانه وتعالى رضي الناس أو سخطوا.

**الحقيقة الثانية:** قد يفهم بعض الناس ألا تشكر الناس على ما يؤدون إليك من معروف، ليس المقصود هذا بل أُمر الإنسان أن يشكر من أدى إليه معروفاً، وجاء في الحديث **(من لم يشكر الناس لم يشكر الله)** [155] فليس المقصود عدم الشكر، إنما المقصود التعلق يعني أن تعلق رزقك بهؤلاء الناس فتعلم أن هذا الرزق معلق بفلان، وبناء على هذا التعلق تسخر أقوالك وأعمالك وتصرفاتك لأجل أن يرضى فلان، فإذا أعطاك شيئاً من المال شكرته وأثنيت عليه ومدحته بعيداً عن التعلق بالله سبحانه وتعالى، ولا شك أن الثناء الأول لله سبحانه وتعالى هو الذي سخر فلاناً لكي يقوم بشيء من العمل الذي يجلب لك شيئاً من المال، فالمقصود في الذم الثناء على هذا الإنسان بالتعلق به، وليس المقصود شكره على هذا المعروف، بل من الآداب العظيمة في هذا الدين أنك ترد المعروف إلى صاحبه، فإن لم تستطع فلا أقل من شكره والدعاء لـه بقولك (جزاك الله خيرا)، وكما أشرنا في الحديث الصحيح **(من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل)** .

**الحقيقة الثالثة:** (أن تذمهم على ما لم يعطِك الله) وذلك لتعلق قلبك بالرزق من فلان، فإذا عملت لـه وخدمته ولم يعطِك شيئاً من المال الذي تأمله فتذمه على ذلك، تذمه على ما لم يقدر الله، فهذا يدل على أن الإنسان تعلق بفلان، ولم يعلق القلب بالله سبحانه وتعالى ويعلم أن فلاناً من الناس ما هو إلا سبب فإن شاء الله جل وعلا أن يسخر فلاناً سخره . وإن شاء الله سبحانه وتعالى منعه من ذلك لأنه لم يكتب لك الرزق من هذا الطريق وإنما كتبه لك من طريق آخر، ولذلك أكد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المعنى بقوله : **(إن رزق الله لا يوجده حرص حريص ولا يرده كراهية كاره)** رزق الله مكتوب للإنسان وهو في بطن أمه، ولكن أمر الإنسان بالعمل، كما قال الرسول ﷺ: **(اعملوا فكل ميسر لما خلق لـه)** [156] فالحرص الشديد يعني الطلب بحرص لا يوجد الرزق. فرزق الله آتٍ وإن كرهت الخليقة كلها وأرادت أن لا يأتيك الرزق، سيأتيك رزق الله مهما

---

**[155]() رواه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: الشكر لمن أحسن إليك ، برقم (1955) وصححه الألباني في الترغيب ، برقم (976).**

**[156]() رواه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : سورة الليل، برقم (4666)، ورواه مسلم في كتاب : القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، برقم (2647) .**

كان، ومعنى ذلك لا تعلق القلب بفلان ولا بفلان أخذاً ولا رداً، إعطاءً ولا منعاً، وإنما علق القلب بالله سبحانه وتعالى، وتعامل بهدي الله سبحانه وتعالى، وبما أمر الله سبحانه وتعالى واعمل وجد في العمل ولكن بدون حرص، ولا يقع في قلبك أدنى خوف من أن يمنع رزقك فلان من الناس، فرزق الله سيأتي حتماً، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام هنا يعلمنا التعامل الوسط: اعمل وتعلق بالله سبحانه وتعالى قبل ذلك وسيأتيك هذا الرزق، فلا تضعف اليقين بالتعلق بفلان أو علان من الناس، سواء لطلب ما لديه أو خشية أن يرد ما كان مكتوباً لك .

**الوقفة العاشرة:**

في تعامل الناس اليوم أخطاء كثيرة جداً في هذا المعنى الدقيق، فمثلاً تجد بعض الناس يثني على فلان أمامه ويذكر من حسناته ويمدحه بما ليس فيه لأجل أن يرقيه مرتبه، وإذا جلس في مجلس آخر ذكر سلبياته وسيئاته وبما فيه من العيوب، فهذا تعلق قلبه بفلان فلا شك أن هذا من التعامل الخاطئ عند كثير من الناس .

ومن التعاملات الخاطئة أيضاً في هذا الباب تلبس الإنسان بما ليس فيه، يجلس عند إنسان ويقول: أنا عملت وعملت ويلوح بالقدح بالآخرين بأنهم لم يعملوا وأنا أديت ولم يؤدوا، وإن لم يسمِّهم ولكنهم لدى هذا المسؤول معروفون، فكل ذلك لا يجلب رزقاً ولا يمنع رزقاً، فاعلم أن الذي يعطي ويمنع هو الله سبحانه وتعالى .

ومن التعاملات الخاطئة التفريط في بعض الواجبات بسبب طلب الرزق فمثلاً يخرج من بيته في الصباح الباكر وقد تفوته صلاة الجماعة كثيراًبحثاً عن هذا الرزق ويترك أولاده وأسرته، وقد يأتي في منتصف الليل وأولاده قد ناموا ويخرجون وهو نائم ثم يخرج بعدهم وهكذا دواليك، يهمل أسرته وأولاده وما يتعلق ببيته ليبحث عن كسب معين، فالله سبحانه لم يأمر بهذا، فعلى الإنسان أن يعمل بقدر ما يستطيع من دون أن يخل بواجب، وهذه الواجبات سواء كانت لله مباشرة كالصلاة والصيام، أو كما في الواجبات الأسرية وغيرها، فلا يمكن أن ينال المال بمثل هذا، ولو أخذ أو جاء شيء من المال ولهث وراءه من أجل هذا فقد أهمل واجبات عظيمة قد يخسر أشياء كثيرة من هذا المال بسبب هذا الإهمال وبسبب ترك هذه الواجبات، فهذا الكلام هو تقرير لهذه الحقيقة التي ذكرها النبي ﷺ أن رزق الله لا يوجده حرص حريص ولا يرده كراهيته كاره .

**32- بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:** ﴿۞ مُّؤۡمِنِينَ كُنتُم إِن فَتَوَكَّلُوٓاْ ٱللَّهِ وَعَلَى﴾ **[المائدة: 23]. وقَوْلِهِ:** ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ **[الأنفال:2].**

**وقَوْلِهِ:** ﴿۞ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنَ ٱتَّبَعَكَ وَمَنِ ٱللَّهُ حَسۡبُكَ ٱلنَّبِيُّ يَٰٓأَيُّهَا﴾ **[الأنفال:64].**

**وقَوْلِهِ:** ﴿حَسۡبُهُۥۚ فَهُوَ ٱللَّهِ عَلَى يَتَوَكَّلۡ وَمَن﴾ **[الطلاق:3].**

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ» قَالَها إِبْرَاهِيمُ - عليه السلام - حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وقَالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﭼ [آل عمران: ١٧٣ ][157] رَواهُ البُخَارِيُّ والنَّسَائِيُّ.

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب :**

(التوكل) لغة : التفويض والاعتماد.

اصطلاحاً: هو الاعتماد على الله في حصول مطلوب ودفع مكروه مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها [158] .

---

**[157] () أخرجه البخاري (رقم 4563).**

**[158] () القول المفيد 2/87 .**

(وجلت قلوبهم) : الوجل هو الخوف .
(حسبك الله): الحسب هو الكافي.

**الوقفة الثانية:**

أورد المصنف - رحمه الله - هذا الباب بعد باب الخوف من الله، وذلك أن الإنسان إذا خاف الله - عز وجل - توكل عليه، ولذلك جاء الأمر بالتوكل والحث عليه في آيات عديدة منها آية الباب ، ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: 23] .

**الوقفة الثالثة:**

مع آية الباب ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: 23].

**معنى الآية** : وعلى الله فتوكلوا أي اعتمدوا على الله وفوضوا أموركم إليه، ثم ربط هذا التوكل بالإيمان "إن كنتم مؤمنين" فالتوكل من الإيمان بل هو أساس الإيمان .

ولا يكون الإيمان باللسان فقط بل لابد من العمل القلبي، وعلامته أن يظهر أثر هذا على الجوارح .

دلت هذه الآية الكريمة على وجوب التوكل على الله عز وجل حيث جعل الله تعالى التوكل شرطاً للإيمان ، وعلامة ظاهرة عليه .

فمن جعل التوكل منهجاً لـه في هذه الحياة اطمأن قلبه وارتاح باله وسُعِد في الدنيا والآخرة؛ لأن القائم بشؤون هذا الكون هو الله - عز وجل - فأنت اعتمدت على عظيم لا يتعاظمه شيء سبحانه .

ويظهر هذا عملياً في الإنسان بالمقارنة والتشبيه ولله المثل الأعلى، فلو أن إنساناً لـه حاجة دنيوية عند آخر قيل لـه: لا يقضي حاجتك إلا فلان من الناس، فإذا ذهب إليه تجده لا يناديه إلا بأفضل الأسماء إليه ولا يصفه إلا بجميل الصفات ويتقرب إليه، وإذا رجع تجده معلقاً قلبه بفلان ماذا فعل وماذا سيحدث، فإن سمع اتصالاً ظن أنه هذا الرجل، وإن طُرق الباب ظن أنه هو، وقد يصلي ولا يزال يفكر بهذا الرجل، فلو جعل توكله على الله وليس على فلان لكان أولى به وأحرى بل هو الواجب الذي لا يجوز غيره.

ولهذا جعل الله التوكّل عليه جزءاً من مقتضيات عقيدة المسلم وشرطاً في الإيمان كما هو في هذه الآية .

**الوقفة الرابعة:**

وأما قولـه تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ فقد وصف الله عز وجل المؤمنين في هذه الآية بعدة صفات **فالصفة الأولى**: وجل القلب إذا ذكر الله أي الخوف والخشية عند ذكر الله - عز وجل

- سواء كان ذكر الله بالقول أو ذكر الله بالفعل أو ذكر أقدار الله عز وجل أو ذكر عظمته فالقلوب تخشع وتخاف، وهذا هو قلب المؤمن الصادق .

**الصفة الثانية**: "وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً" فإذا سمع المؤمن آيات الله تتلى توقف عندها وتأمل وتدبر فيزيد عنده الإيمان ويقوى بذلك، فإذا مرت به آية وَعْد بالجنة سأل الله من فضله، وإذا مرت به آية وعيد بالعذاب والنار استعاذ الله منها، وإذا مرت به قصص الأمم السابقة وكيف كان انتقام الله جل في علاه منهم وقف وتأمل .

**الصفة الثالثة**: (وعلى ربهم يتوكلون) وهذا هو الشاهد، وأيضاً هنا ربط التوكل بالإيمان حيث جعله صفة من صفات المؤمنين، فمن توكل على غير الله - عز وجل - ضعف في إيمانه، على تفصيل سيأتي ذكره في أقسام التوكل .

**الوقفة الخامسة:**

في قولـه تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال:64] وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: 3].

في هاتين الآيتين بين الله سبحانه أنه كاف نبيه وكاف من اتبعه من المؤمنين فالحسب هو الكافي، فمتى ما توكلوا عليه سبحانه وعلقوا رجاءهم به فهو ينصرهم ويقويهم.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن آيات التوكل كثر تكرارها مما يدل على عظم أمر التوكل، فعلى المؤمن أن يتذكر أن الأمور بيد الله مهما تكالبت الخطوب وعظمت المحن ففرجها من الله فليتوكل عليه ويحسن الرجاء فيه.

**الوقفة السادسة :**

حديث ابن عباس الذي أورده المصنف فيه قصتان: **القصة الأولى** قصة خليل الله إبراهيم عليه السلام لما ألقاه قومه في النار ليحرقوه بها. هذه النار العظيمة فمن عظمتها أن الطير تحترق إذا مرت فوقها من عظمة ألسنة لهبها، لما ألقي فيها كان موقفه عليه السلام التوكل على الله تعالى بقولـه : ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [159] فكانت النتيجة تغيير السنة الكونية بقدرة الله بأن تحولت النار المحرقة إلى نار باردة وسلام لتبقى دليلاً على أن عاقبة قوة التوكل على الله للمؤمن مهما كانت الحال.

**والقصة الأخرى** في غزوة أحد بعد أن هُزم المسلمون أراد أبو سفيان وكان مشركاً آنذاك أن يرجع إلى المسلمين في المدينة ليقضي على

---

[159] () **سورة آل عمران ، الآية (173) .**

الرسول والصحابة بذلك، أذن مؤذن بالمدينة أن ألحقوا المشركين، فلما وصل المسلمون إلى حمراء الأسد جاءهم رسول من أبي سفيان بأنه راجع إليهم هو ومن معه ليستأصلهم، فازداد الصحابة ثباتاً وإيماناً وقالوا : ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [160] .

وكانت النتيجة أن المشركين رجعوا إلى مكة وقد ألقى الله في قلوبهم الرعب، وأما المسلمون فقال الله عنهم ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ [161] .

**الوقفة السابعة :**

**أقسام التوكل [162] :**

1 - **توكل عبادة وخضوع** ، وهو الاعتماد المطلق على من توكل عليه بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر، فيعتمد عليه اعتماداً كاملاً مع شعوره بافتقاره إليه، فهذا يجب إخلاصه لله تعالى، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك.

2 - **الاعتماد على شخص في رزقه** ومعاشه وغير ذلك مع التعلق بهذا الشخص، وهذا من الشرك الأصغر.

مثاله: اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، فتجده يعتمد على هذا السبب اعتماد افتقار ، ويحابي من يكون عنده هذا الرزق من مدير ومسؤول، فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب بل جعله فوق السبب، وأنه إذا فقد هذه الوظيفة فكأن رزقه انقطع .

3 - **أن يعتمد على شخص ويوكّله في التصرف** في أمر معين فلا بأس بهذا .

مثاله توكل شخص في بيع شيء أو شرائه .

**الوقفة الثامنة:**

**أسباب معينة على زيادة التوكل عند المسلم:**

1 - أن يربط العبد جميع أموره بالله سبحانه بحيث يستشعر رقابة الله عليه وأن الأمر كله بيد الله.

2 - أن يكثر بقدرما يستطيع من الطاعات والعبادات، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمتى ما ضعف الإيمان وقلت الطاعة ضعف التوكل على الله .

3 - العيش مع كتاب الله، فمن تدبر كلام الله وأخذ العبرة مما فيه من

---

**[160] () سورة آل عمران، الآية (173).**

**[161] () سورة آل عمران، الآية (174).**

**[162] () ينظر: القول المفيد (2/89).**

قصص ودروس زاد الإيمان عنده فيزيد توكله .

4 - كثرة الذكر لله عز وجل والتأمل والتوقف مع هذه الأذكار، فإذا قال العبد: حسبي الله ونعم الوكيل أو لا حول ولا قوة إلا بالله واستشعر معناها وتأمل ما فيها يقوى بذلك توكله على الله.

5 - أن يربط الأسباب بمسبباتها، والعمل في ضوء السنن الكونية ، فإن أصابه فقر أو مصيبة ونحوه ينظر ما هو الميزان الشرعي في مثل هذا، فلو أصيب بمرض مثلاً يسأل نفسه هل يتداوى أو لا؟ فهو يعلم أن التداوي سبب من الأسباب ولكن الشفاء بيد الله، فلا يبالغ في اعتماده على هذا السبب، وفي المقابل لا يترك السبب، فهذا يخالف السنن الكونية والشرعية ، فالسنة الكونية أنه ما من داء إلا لـه دواء، والسنة الشرعية أن الله أمر بالأخذ بالأسباب كالتداوي بالقرآن والعسل وغير هذا .

6 - إذا أصيب بمصيبة فليعمل السبب ولا يتركه ويميل إلى العجز والتواكل، فترك السبب تواكل وليس توكلاً على الله، فلا يجلس في بيته ويقول: سأرزق المال ولا يعمل السبب، بل قال الله تعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾ .

ويترك الزواج ويقول: سأرزق الذرية والولد، فلا يقول هذا عاقل فكيف بالمؤمن العاقل.

7 - القراءة في السير والأخبار لمن عظم صبرهم وتوكلهم على الله كالأنبياء والصالحين، ويتأمل في مصائبهم وكيف جازاهم الله سبحانه على صبرهم وتوكلهم.

**الوقفة التاسعة:**

**ثمرات التوكل على الله :**

1 - زيادة الإيمان فكلما زاد التوكل على الله زاد الإيمان به .

2 - ما يحصل للمتوكل من سعادة وطمأنينة في قلبه و راحة في صدره واستقراره في معيشته .

3 - الرضى بما قضاه الله وقدره، وهذه غاية كان يطلبها النبي ﷺ : (**اللهم أسألك الرضا بعد القضاء**) فمن وصل إلى هذا المستوى كانت المحن التي تمر به منحاً ونعماً .

**الوقفة العاشرة :**

**من مظاهر ضعف التوكل :**

1 - انتشر عند الناس كلمة الخوف من المستقبل، لا شك أن الإنسان يعمل ويكد ويكدح وهذا هو المطلوب، ولكن لا يصل إلى درجة أنه يخاف من المستقبل، فلو فرضنا أن رجلاً يملك الملايين فالله قادر بلحظة أن

يذهبها، فالأمر كله بيد الله ، فالمسلم عليه أن يعمل الأسباب الكونية والشرعية وأن يترك المستقبل لمن يملك التصرف فيه وهو الله عز وجل، ويسأله ويدعُوه أن يلطف به وأن يعطيه من فضله فهو الرزاق ذو القوة المتين.

2 - الخوف على الأولاد من نقص الرزق، فتجد الأب يكد ويكدح ويقول: أنا أعمل ليل نهار حتى إذا كبر الأولاد أغنيهم .

فيقال لـه : كم من غني افتقر آخر عمره والعكس، والحل: عليك أن تتوكل على الله وتعلم أن الأمور بيد الله، ثم بعد هذا افعل الأسباب ولا حرج .

والمصيبة في من كانت هذه حاله قد تجده يفرط في الحقوق الشرعية لأجل زيادة الكسب، كأن يترك الزكاة الشرعية والإنفاق الواجب لهذا السبب .

3 - التعلق حال المصيبة بمن يظن أنه يحل لـه هذه المصيبة، كالمريض الذي يتعلق بالطبيب ويرجوه أن يشفيه من مرضه ويهتم به، ونسي أن الشفاء بيد الله، وأن هذه أسباب إن لم يأذن الله بالشفاء بها فلن تنفعك حتى لو ذهبت تطلبها في أقصى الدنيا، فالواجب أن تعمل الأسباب المشروعة مع التعلق بالله، وابتهل لـه بالدعاء.

4 - الذهاب إلى السحرة والمشعوذين ويظن أنهم أسباب مشروعة وأن لديهم الحل لمشكلته أو علاج مرضه، فالحذر كل الحذر من هؤلاء، فقد يخرجون عن عبادة الله تعالى.

5- بعض الناس: يمتنع عن العمل بسبب الخوف من النتيجة مع أنه عمل شرعي، كأن يترك الحج بحجة أنه يخشى أن يموت إن ذهب، أو يخشى أن يصيبه مرض، فمثل هذا يحتاج إلى معالجة أمر التوكل بالرجوع إلى ما ذكرناه من الأسباب التي يقوى بها التوكل عند المسلم، والله أعلم .

**33- بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:** "أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾" **[الأعراف:99].**

**وَقَوْلِهِ:** "وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾" **[الحجر:56].**

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «الشِّركُ **باللهِ** واليأسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ والأمْنُ مِنْ مَكْرِ الله»[163].

وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «**أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ** بِاللهِ، **والأَمْنُ مِنْ مَكْرِ** اللهِ، **والقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ** اللهِ، **واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ** اللهِ»[164] رَواهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

**الوقفة الأولى :**

**شرح مفردات الباب:**

(مكر الله) : استدراجه العبد بالنعم إذا عصى وإملاؤه لـه حتى يأخذه

---

**[163]() قال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/109): رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون. وقال المناوي في فيض القدير (5/61): رمز المصنف لحسنه. قال الزين العراقي في شرح الترمذي: إسناده حسن. وحسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة برقم ( 2051).**

**[164]() قال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/109): وإسناده صحيح.**

أخذ عزيز مقتدر .

(يقنط) : القنوط أشد اليأس واستبعاد الفرج .

(اليأس) من روح الله): أي قطع الرجاء والأمل من الله فيما يأمله ويقصده و(الروح): بفتح الراء قريب من معنى الرحمة، وهو الفرج والتنفيس .

(الكبائر) : جمع كبيرة والمراد بها : كبائر الذنوب، وقد حدها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بأنها : "كل ما رتب عليه عقوبة خاصة ، سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة وسواء كانت بفوات محبوب أو بحصول مكروه" .

**الوقفة الثانية:**

أراد المصنف - رحمه الله - بهذه الترجمة أن ينسبها إلى أمرين عظيمين:

الأول : الأمن من مكر الله .

الثاني: القنوط من رحمة الله، وكلاهما طرفا نقيض .

وقد ذكر سابقاً ما يتعلق بالخوف من الله وما يتعلق برجاء رحمة الله عز وجل وما أعده الله للطائفتين من عباده، فالذي يقابل الخوف من الله هو الأمن من مكر الله عز وجل، والذي يقابل الرجاء هو اليأس والقنوط من رحمة الله ، وهذان الأمران عظيمان وكبيران وهما من أعظم الذنوب، فالأمن من مكر الله أن يتمادى الإنسان في المعاصي والذنوب مع استدراج الله لـه بالنعم فيأمن عذاب الله سبحانه وتعالى وعقوبته، وهذا بحد ذاته مرض من الأمراض منافٍ لأصل من أصول التوحيد وهو الخوف من الله سبحانه وتعالى .

لذلك افتتح المصنف - رحمه الله - هذا الباب بقوله تعالى : ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾.

فهذا استفهام انكاري على العصاة الذين يأمنون مكر الله سبحانه وتعالى ويأمنون عقوبته وهم يوالون الذنوب تلو الذنوب ، ويقترفون المعاصي تلو المعاصي ، ثم قال سبحانه ﴿ **فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ فهؤلاء هم القوم الخاسرون أي الهالكون، والله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالخسارة والهلاك يوم القيامة، وقد تأتيه هذه العقوبة بفتنة والعياذ بالله ومن ثم يهلك في الدنيا والآخرة .

**الأمر الثاني** الذي اشتمل عليه هذا الباب وهو في مقابل الأمن من مكر الله سبحانه ألا وهو القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، ويستدل المؤلف بقوله تعالى : ﴿**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ**﴾

[الحجر: من الآية56] والمعنى لا يقنط من رحمة الله إلا الضالون وهم المخطئون لطريق الصواب الذين فقدوا الهداية وضلوا عن الصراط المستقيم، والقنوط أيضاً مرض من الأمراض منافٍ لأصل من أصول التوحيد وهو رجاء رحمة الله سبحانه وتعالى .

**الوقفة الثالثة:**

يستفاد من هذه الآيات والأحاديث تحريم الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله سبحانه .

**أما الأمن من مكر الله فمن وجهين :**

1 - أن الجملة وهي (أفأمنوا مكر الله) على صيغة الاستفهام الدال على الإنكار والتعجب .

2 - قولـه تعالى ﴿ **فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ . ففي هذه الآية تعليق الخسارة على الأمن من مكر الله تعالى وهذا سبب من أسباب التحريم.

**وأما القنوط من رحمة الله فهو محرم أيضاً من وجهين:**

1 - أنه طعن في قدرته سبحانه ؛ لأن من علم أن الله على كل شيء قدير لم يستبعد شيئاً على قدرته .

2 - أنه طعن في رحمته سبحانه؛ لأنه من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله سبحانه وتعالى، ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالاً .

فالمؤمن يسير إلى الله تعالى بين الرجاء والخوف، ولذلك قال ابن القيم - رحمه الله - "القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه ، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومن فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر" [165] .

فينبغي للمسلم أن يتجنب هذين الأمرين اللذين عدهما الشارع من الكبائر، **ومن أهم الأمور التي تساعده على تجنبهما** :

**أولاً**: ألا يلين ولا يستلم لوساوس الشيطان ، فالشيطان يبذل كل جهده ليدخل على قلبه القنوط من رحمة الله عز وجل ، فيجب على العبد أن يحذر منه، وأن يغلق الأبواب التي يدخل معها، وأن يعزز نفسه تعزيزاً قسرياً إذا رأى أن القنوط قد دخل قلبه بأن الله سبحانه سيرحمه، وأن رحمة الله وسعت كل شيء وأنه أرحم الراحمين .

**ثانياً**: أن يعمل بقدر استطاعته - وإن كان العمل قليلاً - مبتدئاً

---

[165] () **مدارج السالكين (1/415).**

بالفرائض، ثم ما استطاع من النوافل والمستحبات، فإذا عمل الإنسان بفرائض الله وسننه فجزاؤه أن يتغمده الله جل وعلا برحمته .

**ثالثاً**: الحذر من المعاصي والذنوب ، حتى لا يصل إلى الأمن من مكر الله ؛ لأن المعصية نقطة سوداء تقع في قلب المسلم، فإذا أصر عليها اتسعت دائرة هذا السواد حتى تتغشى قلبه كله والعياذ بالله .

فعلى العبد إذا رأى في نفسه الخلل والتقصير أن يبادر بالتوبة والإنابة إلى الله عز وجل، وإذا كان الرسول ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق الذي غفر لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة فكيف بسواه من العباد الضعفاء المساكين؟!

**رابعاً**: الارتباط دائماً وأبداً بالله سبحانه، فيستثمر وقته بذكر الله من قراءة القرآن وكثرة الأذكار المقيدة بوقت أو زمان والمطلقة في سائر الأوقات، والإكثار من نوافل العبادات كصلاة النافلة وصوم النافلة وصدقة النافلة، ومختلف الأعمال النافعة في الدنيا والآخرة. وهكذا يجد نفسه بإذن الله لا يقنط من رحمة الله، فيرجو رحمة الله ويخشى عقاب الله ثم يحمي هذا وذاك بالدعاء والتوجه لله سبحانه بأن يكون من الراجين الخائفين، وسيصل إلى هذه النتيجة والبغية بإذن الله تعالى.

**الوقفة الرابعة :**

أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته سبحانه أمران نجدهما للأسف عند كثير من الناس ، فنجد عند بعض العُبّاد وبعض أصحاب الطاعة يغلب عليهم اليأس والقنوط من رحمة الله سبحانه ، وفي الوقت نفسه نجد أن كثيراً من العصاة قد أمنوا مكر الله سبحانه وتعالى وعقوبته، فيمنّ على الله بعمل الفرائض وما أدرى هذا المسكين أن عمله مقبول؟ وما أدراه أن سيئاته التي عملها لم تطفئ حسناته؟ وما أدراه أنه يموت على طاعة من طاعات الله سبحانه؟ فتجده يهون من أمر المعاصي والذنوب ويقلل من شأنها بأنها صغائر، أو لا يعلم أن الإصرار على الصغائر يصيرها كبائر، فالإصرار على الصغائر قد يصيرها كبائر، والمؤمن يجب أن لا ينظر إلى صغر المعصية ولكن ينظر إلى عظم من يعصيه وهو الله سبحانه رب الأولين والآخرين . ولكن الله سبحانه صاحب الحمد والمنة والفضل يكفر السيئات بعمل الطاعات كما يكفرها بالتوبة إليه، فالإنسان يجب أن يعيش بين طاعة الله فيرجو قبولها وبين إذا عمل معصية أو أذنب أن يبادر بالتوبة ولا يأمن مكر الله سبحانه وتعالى . وحينئذٍ يسلم في الدنيا والآخرة.

## 34- بابٌ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

وقَوْلِهِ تعالى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[التغابن:11].

قالَ عَلْقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ[166].

وفِي صَحيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيرةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، والنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»[167].

ولَهُمَا عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيُوبَ، ودَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»[168].

وعَن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ بالعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[169].

وقَالَ✕ : «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وإِنَّ اللهَ تَعالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[170]. حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(الإيمان) في اللغة : التصديق .

واصطلاحاً: هو قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان أي

---

**[166]() عزاه السيوطي في الدر المنثور (8/183 - 184) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.**

**[167]() أخرجه مسلم برقم (67).**

**[168]() أخرجه البخاري (رقم 1294) ومسلم (رقم 103).**

**[169]() أخرجه الترمذي برقم (2396) والحاكم (4/608) (1/349) وسكت عنه في الموضع الأول، وقال في الموضع الثاني: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وحسنه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 308).**

**[170]() أخرجه الترمذي برقم (2396) مكرر، وابن ماجه برقم (4031) وحسنه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (2110).**

القلب . يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

(الصبر) في اللغة : الحبس .

واصطلاحاً : حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي والتسخط والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب .

(كفر): المقصود بالكفر هنا الكفر الأصغر وهو من كبائر الذنوب فهاتان الخصلتان كفر أصغر.

(الطعن في النسب): عيبها وتنقصها .

(النياحة على الميت) : رفع الصوت بالندب بتعديد شمائله لما في ذلك من التسخط على القدر .

(ضرب الخدود): المقصود التسخط على المصيبة بالضرب سواءً كان للخد أو غيره، وإنما ذكر الخد هو الذي في العادة يضرب .

(شق الجيوب): الجيب هو مدخل الرأس من الثوب .

(دعوى الجاهلية): هو كل ما ينافي التوحيد في الندب على الميت والنداء بالويل والثبور.

(إن عظم الجزاء مع عظم البلاء) : أي من كان ابتلاؤه أعظم كان جزاؤه أعظم .

(عجل لـه العقوبة في الدنيا): تنزل به المصائب لما صدر عنه من الذنوب فيخرج من الدنيا وليس عليه ذنب .

(أمسك عنه بذنبه) : أخر عنه عقوبة ذنبه .

(يوافي به) : يجيء يوم القيمة مستوفى الذنوب فيستوفي ما يستحقه من العقاب .

**الوقفة الثانية:**

أراد المصنف في هذا الباب بيان وجوب الصبر على الأقدار وعدم التسخط منها؛ لأن ذلك ينافي كمال التوحيد، **وقد قسم العلماء الصبر إلى ثلاثة أقسام** :

**الأول: الصبر على طاعة الله** ؛ لأن الله أمر الناس بطاعته ففرض لهم فرائض وسن لهم سنناً تحتاج إلى الصبر والمجاهدة؛ كالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة الخ . وهذا القسم أعلا الأقسام وأفضلها .

**الثاني: الصبر عن معصية الله؛** لأن كثيراً من المعاصي تهواها النفوس وتشتهيها لما يحصل فيها من اللذة العاجلة التي تنقلب إلى أمراض، لكن النفس تميل عادة إلى ما تشتهيه وإن كان فيه ضرر .

**الثالث : الصبر على أقدار الله** ، وهو الذي ذكره المصنف هنا؛ لأن الصبر على أقدار الله يحتاج إلى قوة في مقابل هذه المصائب، فتظهر هذه القوة بالصبر عن التشكي والتسخط وحبس الجوارح عن عمل ما ينافي الإيمان من لطم الخدود وشق الجيوب، لذلك خصه المصنف - رحمه الله - هنا.

**الوقفة الثالثة :**

**الناس حال المصيبة على أربع مراتب:**

**الأولى : التسخط** ، وهو إما أن يكون بالقلب كأن يسخط على ربه ويعترض على قدر الله عليه ، وقد يكون باللسان من الدعاء بالويل والثبور ورفع الصوت بالنياحة ، وقد يكون بالجوارح كلطم الخدود وشق الجيوب وغير ذلك . وكل هذا من الكبائر والعياذ بالله.

**الثانية: الصبر** فيحبس نفسه ولسانه وجوارحه لكنه يرى هذا الشيء ثقيلاً عليه ويكرهه لكنه يتحمله ويتصبر، فوقوعه وعدمه ليس سواء بل يكره لكن إيمانه يحميه من التسخط . وهذه المرتبة واجبة وهي الصبر والتصبر .

**الثالثة : الرضا** وهو أعلى من الصبر، وهو أن يكون الأمران عنده سواء بالنسبة لقضاء الله وقدره، فهو ينظر إليها باعتبارها قضاء لربه فهو راضٍ بها، وهذا الفرق بين الرضا والصبر .

**الرابعة : الشكر** وهو أعلى المراتب وذلك أن يشكر الله على ما أصابه من المصيبة حيث يرى أن هناك مصائب أعظم منها، وأن مصائب الدنيا أهون من مصائب الدين، وأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وأن هذه المصيبة سبب لتكفير السيئات وزيادة الحسنات وزيادة الإيمان كما في الصحيحين عن النبي ﷺ : (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها) .

وهذه الدرجة هي درجة الأنبياء كما ذكر الله تعالى عن الخليل عليه السلام : ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ الآية .

**الوقفة الرابعة:**

**إن للصبر على أقدار الله المؤلمة آثاراً إيجابية عظيمة منها:**

1- تكفير السيئات كما سبق في الحديث السابق .
2- رفعة الدرجات.
3- قوة الإيمان بالله سبحانه.
4- الطمأنينة في هذه الحياة الدنيا.

5- استمرار الإنتاج في هذه الحياة مما يكفل عمارة الكون التي يتحقق بها الخلافة في الأرض وغيرها كثير.

## 35- بَـابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: چ ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تمتى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح چ [الكهف:110].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»[171]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالُوا: بَلَى يا رسول الله قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[172]. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

---

[171] () **أخرجه مسلم (رقم 2985).**

[172] () **أخرجه أحمد (3/30) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم( 2607).**

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(الرياء) : مصدر من راءى يرائي، مشتق من الرؤية ، وهو أن يعمل عبادة ليراه الناس فيحمدوه عليها ، ويدخل فيه من عمل عملاً ليسمعه الناس، وجاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **(من راءى راءى الله به، ومن سمّع سمّع الله به)** [173] فالأول يقال لـه رياء، والثاني هو السُمعة.

وعكس الرياء الإخلاص لله تعالى ويعني : إفراده تعالى بالقصد في الطاعة ، وتصفيته من ملاحظة المخلوقين.

**الوقفة الثانية:**

في قولـه تعالى : ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [174] استنبط العلماء من هذه الآية أن **العمل لا يكون مقبولاً عند الله إلا بشرطين: الأول**: الإخلاص لـه سبحانه، بألا يشرك معه غيره في العبادة، ولهذا الكفار لا ينكرون وجود الله بدليل قولـه تعالى : ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [175] ولكنهم يشركون معه بالأصنام وغيرها، وكذا المرائي الذي لا يعمل العمل إلا للناس فلا يكون مقبولاً عند الله، كما في حديث الباب.

**الثاني**: أن يكون وفق ما جاء به رسول الله ﷺ ، فلا يبتدع أمراً يتقرب به لله لم يرد في الشرع . ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)** [176] أي مردود عليه غير مقبول .

**الوقفة الثالثة:**

جاءت النصوص العديدة بالأمر بالإخلاص لله وحده في العبادة، ومنها قولـه تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**

---

[173] () **رواه البخاري في كتاب: الرقائق ، باب: الرياء والسمعة ، برقم (6134)، ورواه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله ، برقم (2986).**

[174] () **سورة الكهف ، الآية (110).**

[175] () **سورة الزخرف ، الآية (87).**

[176] () **رواه البخاري في كتاب: البيوع ، باب: النجش، برقم (2530)، ورواه مسلم في كتاب: الأقضية ، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، برقم (1718).**

﴿ [177] وقال في آية أخرى ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [178] قال الفضيل: أي أخلصه وأصوبه.

وجاء في الصحيح أن النبي ✕ قال: (**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...**) [179] .

ومما ينبغي أن يعلم أن المسلم قد يعمل عملاً يسيراً مخلصاً لله عز وجل يكون سبباً لدخولـه الجنة كما جاء في حديث البطاقة، وفي الرجل الذي أماط الشوك عن طريق الناس، وفي البَغِيِّ التي سقت الكلب، فهي أعمال يسيرة عظمها الإخلاص .

وفي المقابل ثمة أعمالٌ ظاهرها العظم ولا يستطيعها كثير من الناس لمشقتها نجدها لا تنفع أصحابها لما خالطها الرياء، ومن أظهر الشواهد على ذلك ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ✕ يقول: (**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلّمه ، وقرأ القرآن فأتي به فعرّفه نعمه، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال: عالم ، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار**) [180] .

وفي بعض روايات الحديث : أن معاوية ﷺ لما بلغه هذا الحديث بكى حتى غشي عليه ، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله ، قال الله عز وجل: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [181] فعلم من ذلك أن صرف المقاصد في الأعمال الشرعية لغير الله مُحبِط للعمل ومفوِّت للأجر .

---

[177] () سورة البينة ، الآية (5).

[178] () سورة الملك ، الآية (2).

[179] () رواه البخاري في كتاب : بدء الوحي، برقم (1).

[180] () رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب : من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم (1905).

[181] () سورة هود، الآية (15، 16).

**الوقفة الرابعة :**

**ما حكم العبادة إذا خالطها الرياء؟**

**وللجواب عن هذا السؤال يقال: إن الأمر لا يخلو من ثلاثة أحوال:**

**الحال الأولى**: أن يكون قصده في العبادة ابتداء هو أن يراه الناس، فهذا شرك بالله تعالى والعبادة باطلة.

**الحال الثانية**: أن يكون قصده في العبادة إخلاصها لله، ولكن طرأ عليه في أثنائها الرياء، فهنا يجب عليه مدافعة هذا القصد الجديد الفاسد، ولا يسكن إليه بل يعرض عنه، ولا يؤثر في عمله إن دفعه بلا خلاف كما ذكره ابن رجب [182] لقوله ﷺ : **(إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم)** [183] . أما إذا لم يدافع هذا الرياء وسكن لـه فحينئذ تكون كالحالة الأولى فتبطل العبادة، ودليلها حديث الباب: **(من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)** .

**الحال الثالثة**: ما يطرأ بعد الانتهاء من العبادة ، فلا يؤثر عليها بشيء، إلا إن كان فيها عدواناً، كالمَنّ بالصدقة كما قال سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى**﴾ [184] .

وليس من الرياء فرح الإنسان بعلم الناس بعبادته بعد الانتهاء منها، لما جاء في مسلم عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه فقال ﷺ : **(تلك عاجل بشرى المؤمن)** [185] .

**الوقفة السادسة :**

**هناك عدة أمور يمكن أن تكون وقاية بإذن الله عن الوقوع في الرياء** ، وهي أيضاً علاج لمن وقع فيه وهي كالتالي:

1 - أن يعلم الإنسان أنه مخلوق في هذه الدنيا لعبادة ربه جل شأنه ، ولم يخلق ليرائي الناس.

2 - أن يجزم أن البشر الذي يرائي من أجلهم عبيد مثله، ولا يملكون شيئاً إلا بإذن الله ، وأن لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء أو يضروه فلا يملكون ذلك إلا إن قدّره الله تبارك وتعالى، كما جاء

---

**[182] () ينظر: جامع العلوم والحكم (1/83).**

**[183] () رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب: الطلاق في الإغلاق والكره والنسيان برقم (4968) ورواه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب برقم (127).**

**[184] () سورة البقرة ، الآية (264).**

**[185] () رواه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره (2642).**

في الحديث الصحيح: **(واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)** [186].

3 - أن يدرك حقيقة الشيطان بأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، ويسعى لإغواء بني آدم، فيحذر أشد الحذر من مزالقه، فالمسلم أقوى منه، ولكن قد يكون الشيطان أطول نفساً.

4 - أن يستشعر المسلم أن العمل إذا خالطه الرياء وسكن لـه لم يقبل منه عند الله، وقد لا يحمده الناس عليه ، ويغفلون عنه، فلم يحصّل في الحالين شيء .

5 - أن يشتغل المرء بعيوب نفسه وتقصيرها في الواجبات والمستحبات ، ولا يسكن لمراءاة الناس ومديحهم وهو يعرف خاصة نفسه، وليعلم أن العمر قصير والمطلوب كثير .

6 - الحرص على عبادة الخلوات حيث لا يراه الناس، كقيام الليل، وقراءة القرآن، والبكاء من خشية الله، فهي تدرب المسلم على تعلقه بخالقه وطلب ما عنده في الآخرة.

7 - الحرص على مجاهدة النفس في ذلك ، ودفعه ما أمكن، ومن المجاهدة الدعاء لله بأن يجعله مخلصاً لـه تعالى في أعماله وأن يجنبه كيد الشيطان ، جاء في الحديث: **(الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره ، تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم)**[187].

---

**[186] () رواه الترمذي في سننه في صفة القيامة والرقائق، برقم (2440).**

**[187] () رواه أبو يعلى عن أبي بكر الصديق ﷺ برقم(58) وصححه الألباني في الجامع الصغير برقم(6044) .**

## 36- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وقَوْلُ اللهِ تَعالَى: "مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ " [هود: 15- 16].

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕ : «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ. طُوبَى لِعَبْدٍ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّة قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[188].

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(تعس) : بفتح العين أو كسرها بمعنى خاب وخسر .

(الخميصة): كساء لـه أعلام .

(الخميلة) : الفراش الوثير.

---

[188] () **أخرجه البخاري برقم ( 2887).**

(انتكس) : أي انتكست عليه الأمور بحيث لا تتيسر لـه .
(شيك) : أصابته شوكة.
(فلا انتقش) : لم يستطع إخراج الشوكة بالمنقاش إن أصابته .
(طوبى):طابت حياته وحسنت، وقيل:هي شجرة في الجنة، وقيل:هي مكان في الجنة.
(العنان) : هو الحبل الذي يقاد به الفرس .
(أشعث) : لم يسرح شعره ولم يمشطه .
(الحراسة) : هي حماية الجيش من هجوم الأعداء .
(الساقة) : مؤخرة الجيش .

**الوقفة الثانية:**

في الباب السابق ذكر المؤلف ما يتعلق بالرياء، وهو أن يعمل عملاً من الأعمال الصالحة ليراه الناس ويمدحوه عليه، ولا يريد به النفع المادي، وهذا الباب في المراء الذي يعمل عملاً مما يُبتغى به وجه الله والدار الآخر لا يعمله إلا لنفع دنيوي مادي؛ كالمال والجاه وعامة ما في الدنيا من زينة ، وبهذا يتبين أن هذا الباب أعم من الباب السابق ، فإذا أراد الإنسان بعمله الدنيا فهذا شرك ؛ لأنه أشرك مع الله في غايته وهدفه من عمله، ولم يرد ما أعده الله سبحانه وتعالى لمن عمل صالحاً.

**الوقفة الثالثة:**

في الآية التي ذكرها المصنف إشارة إلى أن غايات الأعمال لا تخلو من إحدى غايتين، إما أن يبتغي العامل بعمله ما عند الله سبحانه من رضاه ونعيم الجنة ، وإما أن يبتغي هذه الدنيا وما فيها من زينة وبهرج ، ومهما عمل الإنسان من عمل فلا يخرج عن هاتين الغايتين.

فقال سبحانه : ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**﴾ [189] أي من أراد بعمله شيئاً من الدنيا من النساء والبنين والأموال وغيرها ، فهنا يقول سبحانه : ﴿**نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ**﴾ أي فسنعطيهم ما يريدون دون أن يظلموا أو ينقصوا مما طلبوه من هذه الدنيا، ولكن النتيجة النهائية هي الخسران في الآخرة، فقال جل شأنه فيهم: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [190] .

وهذه الآية صريحة في الدلالة على أن الغاية من العمل يجب أن تكون لله سبحانه وتعالى، ومن عمل عملاً ليقال لـه : خاشع أو قارئ مجيد

---

[189] () **سورة هود ، الآية (15).**
[190] () **سورة هود ، الآية (16).**

أو حسن الصوت أو جواد وكريم أو حاج... وغيرها من العبارات فإن عمله باطل لا ينفع في الآخرة، بل هو نقمة عليه، يعذب في النار بسببه .

**الوقفة الرابعة :**

أورد المصنف هذا الحديث العظيم الذين يبين في الجملة خسارة من كانت الدنيا غايته وهدفه، فقال ﷺ : (تعس) أي خاب وخسر عبدالدينار وعبدالدرهم وعبدالخميصة وعبدالخميلة ، وسمي عبداً لهذه الأمور لأنه جعلها غايته، فيسعى ويكد ويكدح ويجتهد من أجلها ، فهي أغلى عنده من متاع الآخرة.

ولكن ما علاقة المال واللباس والأثاث بالعبودية ؟

الجواب : أنه إن أُعطي منها رضي، وإن لم يعطَ سخط، فالعلاقة هي في الرضا والغضب والسخط، فهذه علامة عبوديته لهذه الأشياء.

ثم قال ﷺ مؤكداً للمعنى السابق (تعس وانتكس) أي خاب وخسر وانتكست إليه الأمور بحيث لا تتيسر لـه فصار فقيراً من الجانبين، في الآخرة لأنه كان عبداً للدنيا، وفقيراً في الدنيا لأن الأمور قد لا تتيسر لـه على أن يعيش حياة رغدة ومترفة ، فقد يخسر في تجارته أو تأتيه آفة من الآفات، وهي إن سلمت لـه ولم يعطِ حقها من الشكر والزكاة فإنه سيحاسب عليها في الآخرة، ومن أين اكتسبها؟ فهذه الأشياء انتكست عليه.

وقوله ﷺ : **(وإذا شيك فلا انتقش)** أي إذا أصابته شوكة لا يستطيع أن يزيلها من نفسه، وهذه الجملة إما من باب الإخبار عن حاله ، وإما من باب الدعاء عليه لأنه لا يهتم إلا بالدنيا، وكلا الأمرين وبال عليه.

ثم ختم النبي ﷺ هذا الحديث بمقارنة بين صاحب الدنيا وبين إنسان ظاهر حاله ألا قيمة لـه ، ولكنه عند الله سبحانه في الدرجات العُلى فهو مجاهد في سبيل الله أشعث رأسه ومغبرة قدماه من الأرض، إن وضع في حراسة الجيش فهو فيها، وإن وضع في ساقة الجيش أي أمامه كان كذلك ، وإذا شفع لأحد أو استأذن لم يؤبه به فليس لـه شرف ومكانة عند الناس ، فهذا الشخص عمل عملاً يبتغي به وجه الله فأثابه عليه بطوبى، وهو مكان في الجنة . ومن هذا يستفاد إكرام واحترام المسلم الصالح وإن كان ضعيف الشأن عند الناس.

**الوقفة الخامسة :**

**الذي يريد بعمله الدنيا لا يخلو من حالين:**

أ - أن يكون شركاً صريحاً، وهو الذي يجعل الدنيا غايته ويجعلها تسيره ، فيترك الصلاة مثلاً من أجل الاتّجار بالمال.

ب - أن يكون وسيلة إلى الشرك: وهو أن تكون الدنيا مؤثرة عليه

وعلى حياته، فيؤخر الصلاة من أجل أمر دنيوي، ولا يزكي خشية نقص ماله ، ولا ينفق على والديه وأولاده وزوجه من أجل الدنيا ، فهذا ليس شركاً، ولكن صاحبه على خطر إذ أن فعله هذا من وسائل الشرك ، وهذه الحالة توجد عند بعض المسلمين، والواجب على المسلم أن يتفكر في قول النبي ﷺ : **(ومن كانت الدنيا همه فرّق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب لـه ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله لـه أمره ، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة)** [191] .

وبناءً على ذلك يجب على المسلم أن يصوغ حياته كلها للوصول إلى الهدف الأسمى وهو العمل للآخرة وما فيها من النعيم المقيم فيتيسر لـه أمر الدنيا والآخرة.

## 37- بابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ والأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ

## فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَـابَاً من دون الله

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وتَقُولُونَ: قَالَ أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ!

وَقَالَ الإمام أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، ويَذْهَبُونَ إِلى رَأْيِ سُفْيَانَ، واللهُ تَعالَى يَقُولُ: ﷺ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ " [النور:63]. أَتَدْرِي ما الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلَكَ.

وَعَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيةَ: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ [التوبة: 31]. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»[192] رَواهُ

---

[191] () رواه ابن ماجه في كتاب : الزهد ، باب : الهم في الدنيا، برقم (4105)، ورواه الترمذي بنحوه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (2465)، وصححه الألباني في السلسلة برقم (950).

[192] () أخرجه الترمذي (رقم 3095) والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي. وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى (10/116)، وأخرجه بسنده عن أبي البختري قال: سئل حذيفة رضي الله عنه عن هذه الآية چ چ أكانوا يصلون لهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا يحلون لهم ما حرّم الله عليهم فيستحلونه. ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم فيحرمونه، فصاروا بذلك أرباباً. السنن الكبرى (10/116).

أَحْمَدُ والتِّرْمِذيُّ وحَسَّنَهُ.

**الوقفة الأولى:**

**شرح مفردات الباب:**

(الإسناد وصحته) : المراد هنا رجال السند ؛ لأن صحة الإسناد تدل على صحة الحديث في الغالب إلا إذا كان في المتن نكارة ظاهرة.

(الزيغ): العدول عن الحق وفساد القلب .

(أحبارهم): الأحبار علماء اليهود .

(رهبانهم): الرهبان علماء النصارى .

(أرباباً من دون الله): أي شركاء لله في التشريع حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله .

**الوقفة الثانية:**

ذكر المصنف - رحمه الله - هذا الباب لبيان نوع من أنواع الشرك، وأن الشرك ليس خاصاً بدعاء الأموات وعبادة الأشجار والأحجار وإنما يكون بأشياء أخرى ، ومنها طاعة غير الله في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

فنبه المصنف - رحمه الله - على وجوب اعتقاد اختصاص الخالق تبارك وتعالى بالطاعة، وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا إذا كانت طاعته في غير معصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وجاء النص على العلماء والأمراء لأن لهم الطاعة ، والمراد بالعلماء هنا العلماء بشرع الله ، وبالأمراء المنفذون لـه، وهذان الصنفان هما المذكوران في قولـه تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [193] ، والمفسرون ذكروا أن أولي الأمر هنا هم العلماء والأمراء، وكل في اختصاصه؛ فالأمير لـه الأمر والنهي فيما يتعلق بشؤون البلاد، والعالم لـه الأمر والنهي في اختصاصه، مع أن

---

[193] () **سورة النساء ، الآية (59).**

هذه الطاعة مقيدة بطاعة الله عز وجل، وكذلك لما قال سبحانه: ﴿ **وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ عطفها على طاعة الرسول ﷺ مما يدل على أن الطاعة هنا مقيدة في غير معصية الله، فإن أطاعهم في معصية الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله .

**الوقفة الثالثة:**

أورد المصنف - رحمه الله - بعض الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا الباب والتي تبين أن مصدر التشريع ومصدر التلقي هو الوحي وهو الكتاب والسنة، وبناءً على ذلك الطاعة المطلقة لله سبحانه ولرسوله ﷺ ، فمن صرف هذه الطاعة لغير الله فقد أشرك بالله.

**والتفصيل في ذلك:**

أن طاعة غير الله إما أن تكون هذه الطاعة فيما جاء عن الله سبحانه وهذه الطاعة هي التي أمر الله بها، بأن يطيع الرجل ولاة أمره من العلماء والأمراء ما دام في طاعة الله، وفي ذلك صلاح العباد والبلاد .

وإما أن تكون الطاعة في غير طاعة الله سبحانه بل في معصيته، **هذه تنقسم إلى ثلاثة أقسام** :

**القسم الأول**: أن تكون هذه الطاعة في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، فيتابعهم في ذلك راضياً بقولهم مقدماً لـه، ساخطاً لحكم الله، فهذا شرك وكفر؛ لأنه كره ما أنزل الله فأحبط عمله.

**القسم الثاني**: أن تكون الطاعة مع بقاء الحكم ، فيتابعهم في ذلك راضياً بحكم الله عالماً بأنه أحكم وأمثل، وأصلح للعباد ولكنه لهوى في نفسه اختاره، كأن يريد منصباً أو وظيفة، فهذا كبيرة من الكبائر العظيمة ويعاقب بقدر معصيته، ولكنه لا يصل للشرك ولا للكفر بالله، وله حكم غيره من العصاة .

**القسم الثالث**:أن يتابعهم جاهلاً فيظن أن ذلك حكم الله، فينقسم هذا الصنف إلى قسمين:

أ - أن يمكنه أن يعلم الحق بنفسه ، فهذا مفرط ومقصر فهو آثم بذلك؛ لأن الله سبحانه أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم .

ب - أن لا يكون عالماً ولا يمكنه التعلم، فيتابعهم تقليداً ويظن أن هذا هو الحق، فهذا لا شيء عليه لأنه فعل ما أُمر به وكان معذوراً بذلك .

**الوقفة الرابعة:**

**الأخطاء والمخالفات العقدية في هذا الباب :**

1 - يعتقد كثير من الناس ويتبادر إلى أذهانهم أن الشرك يتعلق بالسجود للأصنام ودعاء الأموات وعبادة الأشجار والأحجار فقط ، أما الأمور الأخرى فلا تتعلق بالشرك، وهذا خطأ بل هناك أمور أخرى يصبح الإنسان فيها مشركاً ولو لم يعبدها ويدعُها ويتقرب إليها، ومنها طاعة غير الله في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، فهذه الطاعة عبادة لهم، فمفهوم العبادة أشمل مما يعتقد البعض؛ لذلك قال النبي ✕ لعدي بن حاتم : (**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما أحل الله فتحلونه؟ قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم**).

2 - تقديم أقوال الناس على الكتاب والسنة وعدم العلم بأن أقوال الناس لا عبرة لها مع معارضة قول الرسول ✕ مهما كانت منزلتها ، وابن عباس اعترض على الذين يوردون قول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على قول رسول الله ✕ ، فكيف بمن ترك قول رسول الله ✕ لمن هو دونهم؟ ولذلك قال الإمام الشافعي : "أجمع العلماء على أن من استبانت لـه سنة رسول الله ✕لم يكن له أن يدعها لقول أحد" .

وما زال العلماء يجتهدون في الوقائع، فإذا استبان لهم الدليل أخذوا به وتركوا اجتهادهم .

3 - رجوع بعض الناس إلى العقل وجعله مصدراً للتشريع ومقدماً على الكتاب والسنة، وهذا من أعظم الضلال، وما ضلّت الطوائف قديماً ولا حديثاً إلا لأنها خالفت مصدر التشريع (الكتاب والسنة) وانتقلت إلى مصادر أخرى، فيعبدون الله بما دلت عليه عقولهم وأفكارهم ، لكن العقل السليم هو الذي يدلك على أن ما جاء عن الله سبحانه هو الحق وأنه الشرع، ويدلك على أن ما جاء عن الله يُعمل به ولو خالف الأفكار والعقول السقيمة؛ لأن الخالق هو أعلم بحال خلقه وقد أتم لهم الدين وأكمل لهم النعمة، قال سبحانه : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾[194].

4 - ومن الأخطاء اتباع الهوى والرغبات الشخصية وتقديمها على شرع الله تعالى، فتضعف نفس هذا الإنسان عن العمل بشرع الله ويتبع هواه كمن يقدم أكل الحرام والتعامل به ويدّعي أن الناس كلهم يعملون ذلك، فمثل هذا أوقع نفسه في شر مستطير. وهذا كثير في أحوال الناس . قال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**

---

[194] () سورة المائدة، الآية (3) .

(195).

[195]() سورة المؤمنون، الآية (71) .